العدد الثامن
السنة الاولى

المغرب

لسان حال المثقفين المغاربة

الجديد

مرآة النهضة الفكرية المغربية

شوال 1354
يناير 1936

Nuevo Marruecos

Revista Mensual de Cultura

Apartado, número 145.-Tetuán

¿Quiere Vd. multiplicar sus ventas?.

Anúnciese en la revista **"NUEVO MARRUECOS"**

He aquí las razones:

1.º—**NUEVO MARRUECOS** es la revista de mayor tirada del Norte de Africa.

2.º—**NUEVO MARRUECOS** es la única revista leída por todas las clases sociales.

3.º—**NUEVO MARRUECOS** admite anuncios a precios sin competencia.

Commerçants! Industriels! Désirez-vous augmenter vos bénéfices? Envoyez vos annonces à la revue **"Nouveau Maroc"**

En voici les raisons:

1.º—**"Nouveau Maroc"** est la revue arabe du plus fort tirage de l'Afrique du Nord.

2.º—**"Nouveau Maroc"** est lue par toutes les classes de la société.

3.º—**"Nouveau Maroc"** vous offre des prix sans concurrence.

اعلنوا عن بضائعكم
ومتاجركم وكتبكم
في

☆ المغرب الجديد ☆

«المغرب الجديد» هي المجلة المغربية الوحيدة الذائعة في سائر اطراف المغرب،

«المغرب الجديد» هي المجلة المقروءة من الطبقات الراقية في المملكة المغربية والشمال الافريقي

اعلاناتها شائعة ورخيصة ومفيدة

بادروا الى الاعلان فيها ايها المواطنون

الجزء الثامن | ثمن النسخة 3 فرنكات | السنة الاولى

☆ المغرب الجديد ☆

مجلة علمية لخدمة الثقافة المغربية

* رئيس تحرير المجلة محمد المكي الناصري *

شوال 1354 — تطوان المغرب — يناير 1936

المغرب الجديد

يهنئ قراءه بعيد الفطر السعيد

موضوعات العدد

انتظروا

العدد ... لذكرى المتنبي في اوائل الشهر القادم

ويرجوا ... ن حضرات الادباء ان يرسلوا مع ابحاثهم صورا من الحجم الصغير لتصدر في عدد الذكرى

المغرب الجديد مجلة علمية تظهر في الاسبوع الاول من كل شهر عربي وتصدر عشر مرات في السنة.

منبر حر المغرب الجديد منبر حر لنشر سائر الابحاث العلميـة المهذبة، ويمكن لكافة المثقفين المغاربة ان يعتبروه لسانهم الناطق.

مقالات المساعدين ينشر قلم التحرير لحضرات المساعدين كل المقالات المستوفية للشروط الآتية:

1-ان ترسل اليه مصحوبة بالاسم الحقيقي
2 - ان تكون ملائمة لروح المجلة ومساوقة متفقة مع مبادئها الفكرية الاساسية
3 - ان لا تكون متعلقة بمشاكل السياسة الداخلية مطلقا

قيمة الاشتراك 12 بسيطة او 25 فرنكا عن سنة داخل المملكة المغربية.

7 بسيطات او 14 فرنكا عن نصف سنة داخل المملكة المغربية.

30 فرنكا للاشتراك الخارجي عن سنة كاملة.

المراسلات ما يخص الادارة يرسل باسم مدير المجلة: محمد العربي بن جلون، وما يخص التحرير يرسل باسم «تحرير المغرب الجديد»

صندوق البريد صندوق البريد نمرة 145 بتطوان

Apartado nº. 145.-Tetuán.

الاعلانات المغرب الجديد مستعد لنشر اعلانات علمية وتجارية باثمان مناسبة، طبقا للتعريفة المنشورة في آخر هذا العدد فعلى المواطنين ان يبادروا بارسال اعلاناتهم اليها فورا.

من عهد الحكم الثانى



الملك اردونيو فى حضرة الخليفة

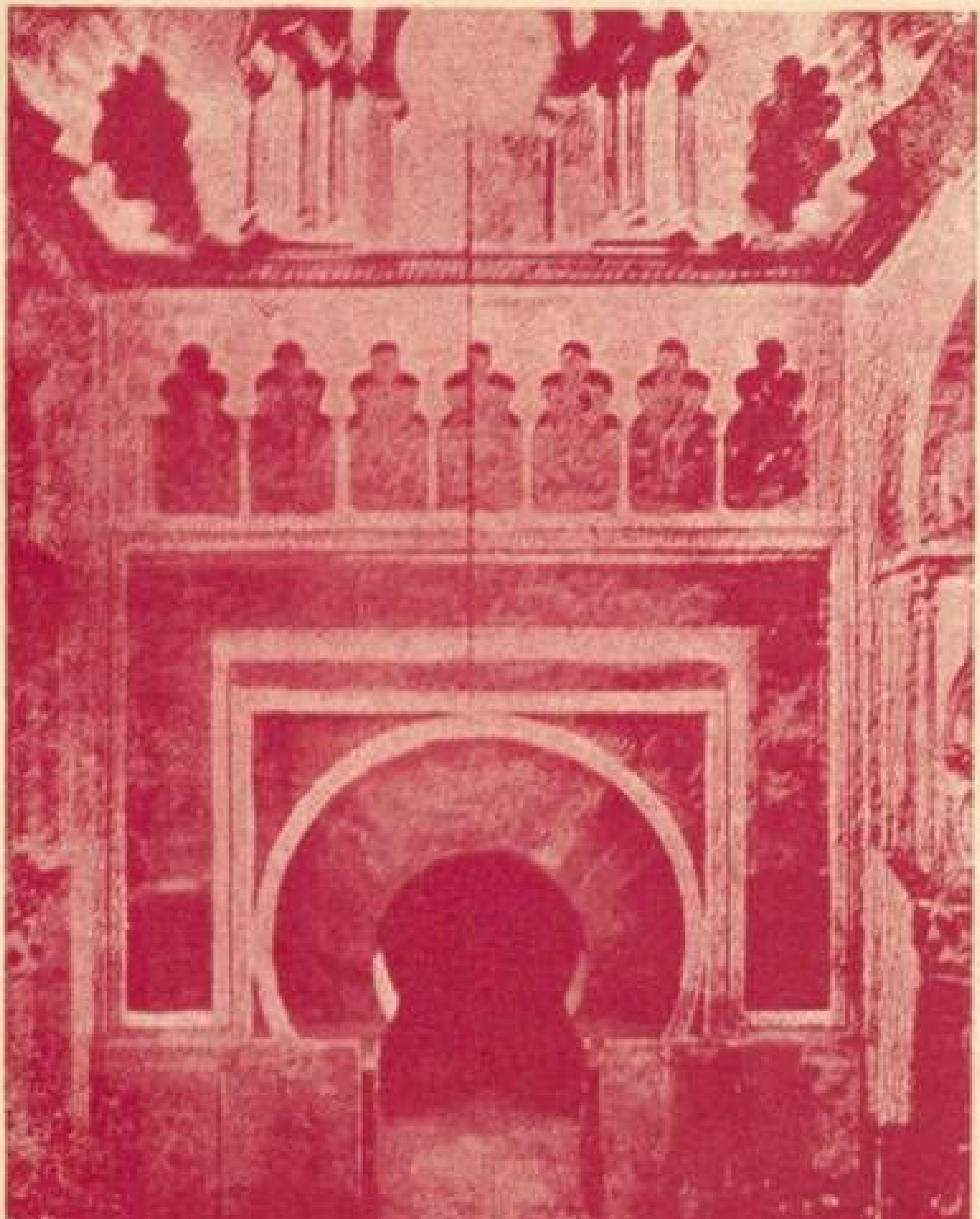
في اوائل عهد الحكم المستنصر قدم على اعتابه اردون بن ادفونش (Ordoño el Malo) فاحتفل الخليفة لقدومه وعبى العساكر ليوم وفادته وانزله في دار الناعورة وبعد استقباله في المجلس الشرقي من قصر الخلافة صبت الخلع عليه وعلى رجاله بقدر استحقاقهم ونقل الى قصر الرصافة وتوسع له في الاكرام والاعتناء الى اقصى حده وكان غرض اردون من وفادته استنجاد الحكم الثانى ضد منافسه في الملك شانجة بن ردمير (Sancho de León) فعاهده الخليفة على مناصرته، مقابل التزامه لموالاة الخلافة ومقاطعة فردلند القومس (Fernán González) خصم الحكم العنيد واعد لمساعدته جيشا قويا على رأسه غالب قائد الخلافة الشهير، وقد مات اردون سنة 962 ومات شانجة بعده بنحو اربع سنين



مبايعة المصحفى لهشام امام ابيه الحكم الثانى

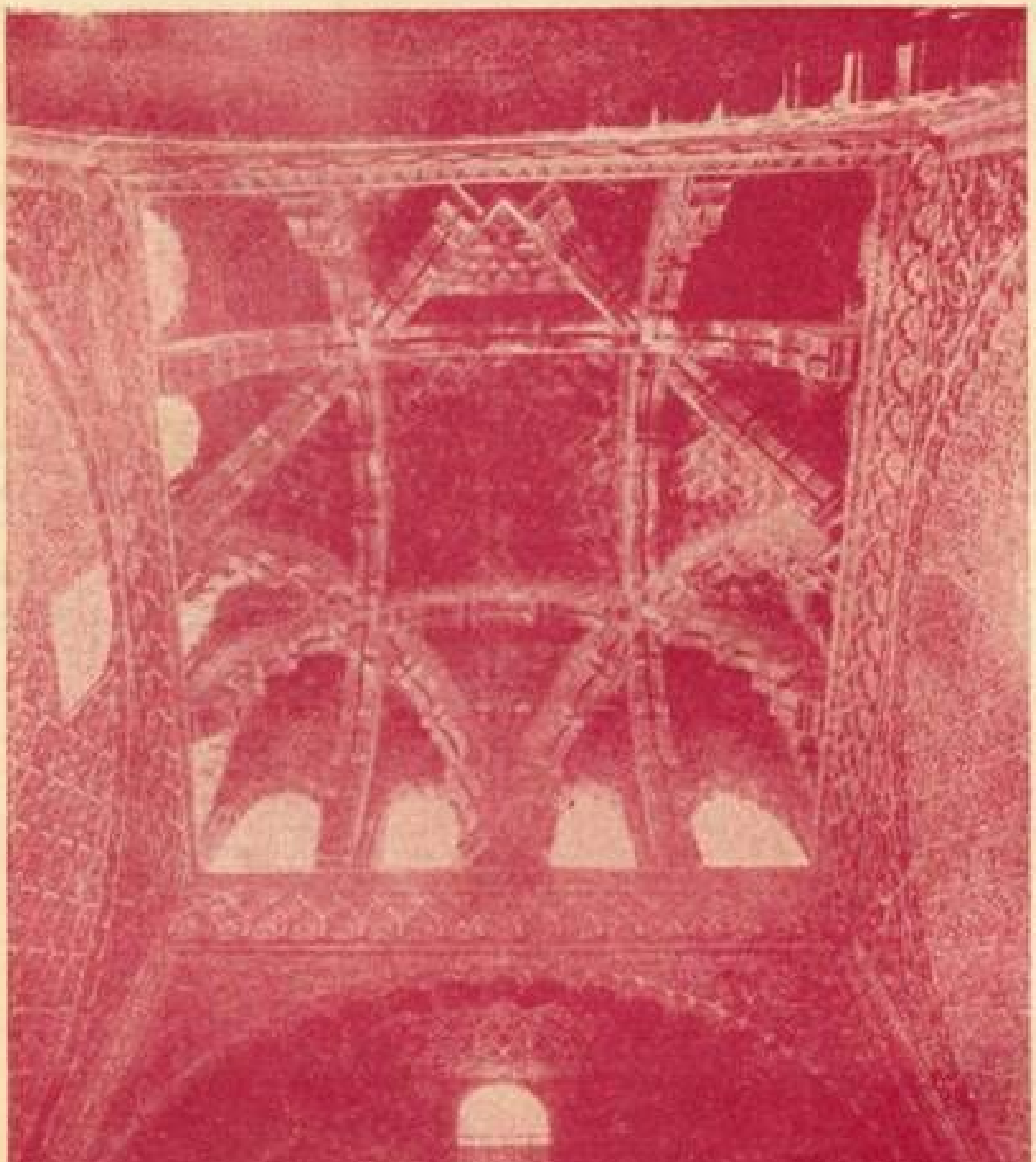
بعد مرور نحو 9 سنوات من حكم الحكم الثانى مات خصمه فرنان كونصالس (970) فاقبل نهائيا على الثقافة التى كان متفانيا في حبها ولم يزل كذلك الى ان عجز عن تسيير شئون الدولة لشلل اصابه فترك مقاليدها بين يدى وزيره «جعفر بن عثمان المصحفى» واهتم بان يترك لابنه «هشام» ميراث العرش من بعده فكانت بيعة اعيان الدولة له في 5 فبراير 976 ويرى هشام في المثال اعلاه جالسا عن شمال ابيه، وكانت وفاة الحكم الثاني في فاتح اكتوبر 976 حسبما في التواريخ الاسبانية وفي ثاني صفر 366هـ، حسبما في التواريخ العربية.

محراب الجامع الاعظم
فى العاصمة الاموية بالاندلس



مسجد قرطبة الجامع من اعظم الآثار الفنية فى العالم الاسلامي وهو البقية الباقية الى الآن من مفاخر الخلافة الاموية في الاندلس، ابتدا بناءه عبد الرحمن الداخل واتمه ابنه هشام، ثم توالى خلفاء بني امية يزيدون فيه حتى صار مضرب الامثال، وقد بلغ عدد القومة عليه 300 شخصا في بعض الاوقات، واول ما عني به الحكم المستنصر «الحكم الثاني» عند ولايته هو الزيادة في هذا المسجد لضيقه عن سكان قرطبة في عهده، فصرف عليه من الدنانير 261.537، وبلغت اعمدته الرخامية 1409، وكان جدار محرابه المصور اعلاه وما يليه جاريا فيه التذهيب على الفسيفساء.

قبة المقصورة الملكية في جامع قرطبة



في طليعة التحسينات التي ادخلها الحكم المستنصر - الحكم الثاني - على جامع قرطبة بناء «المقصورة البديعة» التي كان بابها من ذهب، وبناء «دار الصدقة» التي كانت معهدا لتفريق الصدقات المتوالية، وبناء «بيوت الفقراء» المقابلة للباب الغربي من ابواب الجامع، وبناء «الميضآت الاربع» في الجانب الشرقي والجانب الغربي: ثنتان صغريان للنساء، وثنتان كبريان للرجال، وكان الجامع يبخر كل ليلة جمعة برطل عود وربع رطل عنبر، وكان في «بيت المنبر» به مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه في حلية من الذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه اغشية الديباج.



فخر الشمال الافريقي والمعلم الاول لفلسفة التاريخ والاجتماع

اطلال مدينة الزهراء



«الزهراء» اسم جارية كان يحبها الناصر حبا جما فسمى باسمها مدينته الملكية التي شرع في بنائها اول يوم من محرم سنة 325هـ وقد استمر العمل فيها نحوا من 40 سنة، وبلغ عدد سواريها 4.300 وعدد ابوابها ما يزيد على 5.000!، وجلب اليها الرخام الابيض والمجزع والوردي والاخضر، وكان فيها مجلس يدعى «قصر الخلافة» سمكه من الذهب والرخام الصافي المتلون الاجناس، وفي وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق وفي كل جانب منه 8 ابواب منعقدة على حنايا من العاج والآبنوس المرصع بالذهب واصناف الجواهر، وكانت فيه «اليتيمة» التي اتحف بها ملك القسطنطينية البيزنطي خليفة الاندلس الناصر، وكانت قواعده من الذهب والفضة وكان بالزهراء تماثيل عديدة، ودور الصناعة ومسارح الطيور، ومجامع الوحوش، وبحيرة للحيتان مرتب لها من الخبز يوميا 12 الف خبزة ومن الحمص الاسود 6 اقفزة.

مد وجزر - منذ 444 سنة



ايزابلا

اول ملكة كاثوليكية دخلت غرناطة فاتحة



ابو عبد الله

آخر ملك مسلم في الاندلس



فيرناندو

اول ملك كاثوليكي استولى على عرش بني الاحمر

قصر الحمراء ـ آخر معقل للحضارة الاسلامية بالاندلس

في 25 دجنبر 1491م اي منذ 444 سنة، تمت سيطرة الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابلا على المملكة الغرناطية وامضيا اتفاقا عاما يتعلق بمصير المسلمين في الاندلس مؤلفا من 55 مادة وكتب على رق غزال محلى ومطرز في 30 منه كما امضيا اتفاقا خاصا في نفس الوقت مع السلطان ابي عبد الله محمد بن ابي الحسن مؤلفا من 14 مادة يتعلق به وبعائلته وفي 2 يناير 1492 دخل الملكان الكاثوليكيان غرناطة فاحتلا مسجدها اولا ثم حمراءها ثانيا وجرى ذلك كله في اواخر محرم واوائل صفر من عام 897هـ وفي عام 940هـ توفي ابو عبد الله بفاس ودفن خارج باب الشريعة وفي عام 1016هـ 1614م فارق اسبانيا نهائيا من لم يرتض الكثلكة من المسلمين وكان ذلك الوداع الاخير.



منظر عام للقصر الذي كان به سرير دولة بني الاحمر

علوم المور وآدابهم

جوزف مككب Joseph Mccabe عالم انكليزي طائر الصيت بلغت مؤلفاته لحد الآن 250 كتابا، وقام بألوف من المحاضرات والمناظرات في انكلترا وامريكا وميكسيكو واستراليا ونيوزيلاندا، له براعة فائقة واحاطة تامة بجميع النهضات العلمية والفكرية في تاريخ البشر، وهو يحسن عشر لغات، ويعتبره الاميركيون اكبر عالم في الدنيا المعاصرة، ومن بين تآليفه الجليلة رسالته المختصرة التي سماها «مدنية المور في الاندلس» ويقصد بالمور المسلمين الذين كانوا يقيمون في اسبانيا الاسلامية، وقد تصدى لتعريب هذه الرسالة الحافلة بالحقائق والملاحظات مواطننا الكريم احد مفاخر المغرب في المشرق العلامة الجليل والكاتب الشهير السيد محمد تقي الدين الهلالي بمساعدة صديقه الحميم الاديب الناهض السيد ميرزا محمد خان ، بادر، و «المغرب الجديد» ينتهز هذه الفرصة ليشكر حضرتي المعرب والمساعد ولقدم الى المواطنين المغاربة «بهذا الفصل تعريبا وتعليقا» احدى الثمرات الطيبة، من جهود شريفة متواصلة يقوم بها مواطنهم الهلالي في سبيل الاسلام والعروبة والمغرب، ويلفت نظرهم جميعا الى وجوب اقتناء هذه الرسالة الحافلة التي سيظهر تعريبها قريبا في عالم الطباعة، فهي كنز علمي ثمين جدير بالاقتناء.

هناك حقيقة محزنة ودليل يملأ النفس غما واسى يدل على ان الفكر البشري لا يزال ناقصا وبعيدا عن الرقي الحقيقي، وذلك ان الذين يعرفون كيف يعيشون في كل عصر قليل، وبعد مضي ملايين من السنين على وجود الانسان وستة آلاف سنة على حدوث المدنية والشعور بالوجود لا نزال الى الآن نختصم في ما هو المثل الاعلى للمعيشة، واكثر الناس لا يعرفون كيف يستعملون نعمها استعمالا موزونا. وتبعة ذلك معظمها يعود الى النصرانية. لكن الطبقة العليا من اليونان والمثقفين المفكرين وصلوا الى قريب من المثل الاعلى. وعندهم ان الحكمة كل الحكمة ان نعرف كيف نعيش - وذلك انما يكون بترقية الجسم والعقل والاخلاق بعناية سواء وحماسة سواء، لا يفضل واحد من هذه الثلاثة على قسيميه بشيء، وحتى اثينة كانت فيها معركة مستمرة لا نهاية لها بين الفلاسفة الاشراقيين اتباع زينو اعداء الاستهتار اللد وخصومهم السايبرانيين انصار الاستهتار بالشهوات وزعمائه. حتى ابقراط نفسه لم يكن يعطى للجسم

حقه خلافا لما يعتقده فيه عامة الناس. ولا نقول ان المور وصلوا الى درجة الكمال ولكن مثلهم الاعلى كان معقولا وممتازا، والنصارى الذين يطعنون فيهم ينقبون في تواريخهم الواسعة - وفي الاكثر في التواريخ الخسيسة التي الفها اعداؤهم غير الموثوق بهم - حتى اذا ظفروا على سبيل الندور بشيء من القسوة او الخيانة او الفجور اخذوه فرحين واطالوا في شرحه بقصد التشفي والتشنيع. وكل مدنية تشتمل على عشرين مليونا من النفوس السعيدة المغتبطة وتمتد ستة او سبعة قرون لابد ان يوجد في تاريخها امثال تلك الهفوات النادرة، ولكن انما يستغلها ويتجاهل الاخلاق الحسنة التى كانت غالبة عليهم المؤلفون المخادعون الذين يضلون من يقرأ كتبهم بذكر اعمال استثنائية وقعت على سبيل الشذوذ والندور. لقد قرات جميع التاليف التي الفت في سيرة المور مستندة على ما كتبه المعاصرون لهم فرايت يقينا لاريب فيه ان اخلاقهم سامية، واما غيرتهم على شرفهم وشهامتهم فهناك الف قول والف عمل يجليها لك في اكبر التاليف التي الفت في تاريخهم وقد ظهرت آثارها في شهامتهم المعروفة في الحروب.

وليس ظهورها باقل من ذلك في تسامحهم مع السكان والزوار من النصارى ما داموا مستقيمين في سلوكهم، وفي معاملتهم لليهود بمقتضى الاخوة التامة وكرمهم الذى هو كنار على علم على المرضى واليتامى والارامل والفقراء. وكانوا يرعون اوامر القرءان الانسانية حق رعايتها في الاحسان الى المرضى والمحتاجين. وقد حافظوا على تلك الاوامر تدينا وكرما اكثر من محافظة النصارى على مواعظ عيسى في مجلس وعظه بالجبل واذا درست التواريخ حق درسها ترى ان ما يتبجح به النصارى من

كونهم متمسكين باعمال الخير والاخوة التي جاء بها الوحي يتضاءل ويتلاشى امام ما عمله المور من ذلك. كان عصر ملوك الرواقيين اتباع زينو في رومية عصرا عظيما في الخيرات والمبرات وكان عصر المسلمين في الاندلس عصرا عظيما في الاحسان والبر. واما نصيب النصارى من عمل الخير والاحسان الى المحتاجين من النوع البشري في سجلات التاريخ في القرون التسعة عشر الاخيرة فضئيل ناقص الى حد يجعله مسخرة للساخرين. والحاصل ان الطاعنين في المور لا يستطيعون ان يغمزوهم الا بالانهماك في الشهوات ولكن ذلك العيب المزعوم سيكون مزية وفخرا اذا علمنا ان المور كانوا يزنون مطالب النفس والعقل كليهما بقسطاس مستقيم، وجيلنا الحاضر على ما ورثه من تجارب ستة آلاف سنة من سير حكمائها وروايات اديانها حتى اجتمع له من ذلك ما لم يجتمع لجيل قبله، منقسم الى فريقين - ما عدا البؤساء الكومستوكيين - (1) فريق يجدون في تهذيب النفس وترقية العلوم العقلية والفنون العالية ويحتقرون الشهوات ويواجهونها بوجه عبوس، والفريق الثاني قوم ذوو دماء حارة انهمكوا في الخمر والفسق واطلقوا لانفسهم العنان واعطوها اقصى ما تريد من شهواتها حتى صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا. وكلا الفريقين معجب بنفسه وكل حزب بما لديهم فرحون، وكل منهما يعيب الآخر ويرميه بالمثالب وكلاهما في ضلال مبين.

ومن المزايا التي اختص بها المور انهم يرون ان السعادة وكمال النعمة انما هي في المعيشة التي تكفل حظ النفس والعقل في التهذيب

---

(1) - طائفة في امريكا اسمها (انتوني كومستوك Anthony Comstock 1844 - 1915) وكان متقشفا وكان جنديا في الحرب الداخلية الامريكية. وكان يريد ان يصلح اخلاق الجيش. ثم دخل في سلك الانشاء وصار زعيما للثورة على فساد الاخلاق، ولكنه كان جاهلا لانه كان يعظم امر الجزئيات ويهمل الكليات. ومن المعلوم انه لم ينجح فيما حاوله.

على السواء. وكانت الدرجة العليا التي ادركوها في الشعر ناشئة عن ذلك الرقي الموزون. وكل الطبقات من اصحاب الحوانيت الى الخلفاء كانوا ينشئون وينشدون الشعر. وكثيرا ما ترى جماعة من الرجال والنساء في ليالي الصيف في حديقة غناء تعبق روائح رياحينها في ساحات البيوت الجميلة جالسين يتباحثون في الاشعار ويتنازعون بلطف في المساجلة في منتوجات افكارهم. وكان ولعهم بالموسيقى ودرسهم لها يساوى شغفهم بالعلوم والآداب، وكانت الاندلس حقيقة في تلك الايام ارض غناء وغرام وازهار ونوافح طيب.

ولكن هذا الشغف بالموسيقى كان مزدوجا مع شوق اعظم منه الى استقراء العلوم العقلية الى حد كدنا نعجز عن فهمه. فاين يوجد في عالمنا شخص يداني زرياب القرطبي (1) الموسيقى الشهير. وقد ذكرت في فصل سابق ان عبد الرحمن كان يجرى لهذا الرجل 40،000 دينار ذهبا في كل سنة، وكان يعرف عشرة آلاف صوت من نغمات الغناء. وانا لا ادرى هل ذلك فوق مقدرة المغنين في عصرنا ام لا؟؟ ولكنى اعلم ان ما عندهم انما هو جزء مما كان عند زرياب، وكان عالما بالعلوم العالية في ذلك الزمان كالجغرافية والطب والفلسفة مثل ما كان عالما بالموسيقى، واخترع عطورا جديدة وادهانا لتجميل اللون، وجلب الاغذية والعقاقير، ووضع طرازا صحيا للملابس، واصلح النظام السياسي واوجد في الناس تهذيبا فى الوجهة الاجتماعية، وكانت نوادره ولطائفه تروى حكما وامثالا فى جميع بلاد الاندلس.

وابن يوجد حتى في هذا العصر الحديث ملك مثل الحكم الثاني

(1) - اصله من بلاد فارس سافر الى العراق وتلمذ لاسحاق الموصلي وقربه هارون الرشيد ثم سافر الى الاندلس ودخل قصر عبد الرحمن الثاني وتوفي بالاندلس في حدود سنة 1852.

الذي كان له شغف بالعلوم حتى انه كان له رجال يجمعون الكتب من جميع النواحي في اسبانيا واوربا وصارت خزائنه الخاصة تحوى على اقل تقدير 400،000 . وبعض المؤلفين يقول 600،000 كتاب خطى. وقد اضافوا الى الاشعار العربية والفارسية تراجم اشعار اليونانيين والروم. وترجموا بالعربية كتب ارسطو وافلاطون واقليدس وسائر كتب المتقدمين. والفوا كتبا كبارا تبهر العقول في الطب والجغرافية والفلسفة والفلك والكيمياء والتاريخ. ومؤرخو ذلك العصر يريدوننا ان نعتقد ان الحكم كان عالما بمضامين الستمائة الف كتاب التي كانت تشتمل عليها خزائنه، وكانت تآليفه محل الاعجاب في جميع العالم. ولم يكن مستبدا (ارستوقراطيا) من الوجهة العقلية. وانشأ في قرطبة عشرات المدارس غير ما كان بها من قبل، وامر اخاه «وزير المعارف» ان يسهل على جميع الناس اكتساب العلوم. والمؤلفون الذين يتجاهلون الحكم الثاني ويخوضون فيما وقع من عبد الرحمن الاول من القسوة على سبيل الندور والقلة ويفيضون في قسوة عبد الرحمن الثالث يخدعون قراء كتبهم.

وهذه الغيرة على بث العلم كانت عامة في ملوك المور. ونظام التعليم عندهم يذكر بما كان من ذلك في رومية الوثنية ويبشر بنظام التعليم في هذا الزمان. وكان ذلك واديا خصيبا في صحراء الجهل الكبرى التي امتدت من القرن الرابع الى القرن التاسع عشر، واسكوت الذي هو اقوى برهانا واكثر تفصيلا اخبرنا ، مرارا ان المعارف كانت منتشرة في جميع الطبقات:- «كان في كل قرية مدارس كافية لحاجة اهلها. وكان التعليم فيها قائما على افضل التسهيلات وانفعها وكل الاطفال الذين قعد بهم العدم عن التعلم كانت الحكومة تعتنى بهم وتؤسس لهم مدارس

مجانية على نفقتها (الفصل الاول ص 395). ولم تكن هناك قرية، وان كانت صغيرة جدا، داخل حدود المملكة قد حرمت من بركات التعليم، وكان التعليم عاما يتمتع به حتى اولاد احقر الفلاحين» (الفصل الثالث ص. 467).

وعلى هذا نقول انه يتعذر ان يوجد فلاح اندلسي لا يعرف القراءة والكتابة في حين كان ملوك بقية اوربا لا يقدرون ان يكتبوا اسماءهم في توقيماتهم. وكذلك اشراف الروم من اعلى الطبقات لم يكونوا يقدرون على القراءة والكتابة، وتسع وتسعون في كل مائة من اهل الممالك النصرانية كانوا اميين تماما. وكانوا على غاية من الجهل لا يمكن تصورها. اضف الى ذلك ان المعارف عند المور، كما ستراه قريبا كان معناها اوسع بكثير جدا مما كان في رومية الملكية. وكان لهم من الغيرة على العلوم مثل ما كان لهم من الغيرة على الشعر.

وكانوا يعتنون بالتعليم العالي ويعضدونه اكثر من التعليم الابتدائي فقد كان في قرطبة ثمانمائة مدرسة. وكان التلامذة ياتون من اقصى الارض ليتعلموا فيها وكانت للفقراء منهم دور اقامة اعدتها الحكومة مجانا لهم، ولهم فيها ارزاق من بيت مال الدولة تقوم بحاجتهم من طعام وشراب ولباس، وكانوا يعطون زيادة على ذلك شيئا من الدراهم معلوما لكل واحد منهم. ولم يكن هنالك اختصاص في التعليم الا لمن يريد التخصص في الدين.

من ذا الذي لم يقرأ يوما من الايام في مدرسة العمر العجيبة، تأسيس الجامعات الاولى الذي الهمته النصرانية بزعمهم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر؛ واني سائل والعجب آخذ مني كل مأخذ

فقائل كم واحدا من قراء كتابي هذا قرأ قط ان اسبانيا المحمدية كانت قبل ذلك بثلاثة قرون متعطشة حرى، ولا حرارة المحموم، للعلم ـ للعلم الحقيقي ـ لا لترهات مكاتب القرون الوسطى القشرية، وكان العلم هناك بلا شك ـ عند المور ـ مائة مرة اكثر انتشارا، وكان هو الملهم الحقيقى لحركة المدارس والجامعات التي قامت في القرون الوسطى؟ فانظر كيف يكتب التاريخ الى اليوم متبعا فيه هوى الدين ـ يعنى النصرانى.

ولم تكن حرية الفكر في الاندلس، التي اقل ما يقال فيها انها كانت حالها اعلى واجل بكثير منها في الممالك النصرانية، لم تكن هي وحدها تغذى حب العلم والولوع به، بل كان يثيره اجلال العلماء الذى زال من الدنيا بزوال دولة الاندلس ولم يرجع بعد الى الدنيا. ولم يكن الخلفاء يقتصرون على اكرام اكابر العلماء بالجوائز والصلات العظمية من المال، بل كانوا يتخذونهم اصدقاء وخاصة اصفياء ويولونهم اجل المناصب في الدولة والقصر. وكان لملوك المور رأى صائب ينبغى ان يكون قدوة لجميع المدنيات، وهو ان الرجال اللائقين بتدبير المملكة وادارة شئونها ليسوا البلغاء في الاقوال او المكرة ذوى الكيد والدسائس، بل رجال العلم الذين برهنوا على كفاءتهم بسمو افكارهم وثقوب اذهانهم ولم يكن العلماء فى الاندلس يعيشون فى المعامل المظلمة، ونظر الناس واعتبارهم منصرفا الى الاشراف والاجناد ورجال السياسة. بل كان العلماء من اكثر الناس مالا ونعمة، وكان الناس لهم اشد حسدا. ولم يكونوا يحسدونهم على قصورهم الملكية وكثرة خدمهم وحشمهم بل على علمهم، وهذا يدلنا على ان الامة كلها كانت مؤلفة بالعلم والادب عارفة قدرهما ولم تكن النساء محرومات من المشاركة في ذلك. وتجد في تأليف

اسكوت كثيرا من فضليات الاديبات منهن. ونرى ان النساء كن يساجلن الرجال في المحافل العامة حيث كان الحائزون قصب السبق في النظم والنثر ينالون جوائز عظيمة.

ولا ينبغي للانسان ان يغلو ويتجاوز الوسط الى الطرف الآخر فيزعم ان العلم فى الاندلس كان قاصرا على زخرف القول والتطفل الظريف، وان الماهر فى نسج الالفاظ كان اسعد الناس حظا بعيش الترف والكسل. كلا، فان نشاط العلماء في اعمالهم كان مدهشا، فقد وصلت الينا امثلة رائعة من بدايات علومهم التي تفوق نهايات غيرهم، وجريدة اعمال المشهورين من علمائهم بلغت في العظمة الى حد يكاد المرء ان لا يصدقها، ولكن اسكوت اخبرنا بأن كتاب المورمع سمة خيالهم وابداعهم فى الوصف وتأنقهم فيه صادقون فيما يذكرونه من الحوادث.

فلله كم ضاع من علم وادب كان طعمة للنيران التي اوقدتها ايدي الرهبان حين طرد الاسبانيون الكفار من أوربة كما يزعم المدرسون. وكان قسم كبير من تلك الكتب فى علم الكلام وكان علماء المسلمين قد جاءوا الى الاندلس من كل رجا من ارجاء الدنيا. ومن القواعد الثابتة ان اكثر علمائهم اختصاصا بامور الدين هم الفلاسفة وانهم صرحوا جهرة بذم علم الجدل الكلامي حتى الاسلامي منه. وكانوا يعرفون جميع ضروب الفلسفة هندية كانت ام يونانية. الا ان ارسطو كان هو المعلم الاكبر فى نظرهم. لما تكلم الشاعر الكاثوليكي دانتي فى القرن الثالث عشر على الفلسفة لم يذكر ولا رجلا واحدا نصرانيا، وانما ذكر ارسطو وسماه «معلم ضروب الحكمة». ثم ذكر بعده ابن سينا وابن رشد، وساوى بينهما وبين المعلم الاكبر فى الشرق حيث

سمى الجميع «آل بيت الفلسفة»، وذلك يدلنا على ان الفضل في النهضة الفكرية فى أوربا يرجع الى المور الذين احيوا فلسفة اليونان بعد دروسها، قبل النهضة الاخيرة الاوربية باربعة قرون.

وكان ارسطو يكره الهراء الفارغ الذي يسمى فلسفة افلاطون في الالاهيات وما وراء الطبيعة. وكان ارسطو افضل من عرفه العرب من الحكماء المتقدمين واعظمهم تحقيقا للمسائل العلمية. وانه ليزيدنا اعجابا بهذه الامة أمة الشعراء وعشاق الجمال انهم قد سوا ارسطو، حتى كادوا يؤلهونه. وما بلغ عمر ابن سينا ست عشرة سنة حتى صار من كبار العلماء وصار وزيرا عظيما وهو ابن ثلاثين. وافيروس (واسمه الحقيقي ابن رشد) هو الذي الف الشرح الشهير لكتاب ارسطو، وذكره دانتي في كتابه «انفيرنو - جهنم» وهو الذي اثنى عليه حتى الراهب سافونارولا وقال فيه[1]: ذلك رجل كانت له عبقرية ربانية. وكان مكبا على الدرس ومنهمكا فيه، حتى انه لم يترك الدرس الا ليلتين فى حياته. ليلة عرسه، وليلة وفاة والده.

وفلاسفة المور كابن رشد الذي كان طبيب الامير ورئيس قضاة قرطبة، خدموا العلم والفلسفة سواء. وكان على ذلك المتخصصون فى العلوم هم الذين خدموا العالم اعظم خدمة. وتوليف صغير كهذا لا

- 1 - (سافونارولا Savonarolla) (1452 - 1498) كان راهبا ايطاليا وصاحبا وكان والداه يريدان ان يجعلاه طبيبا، ولكنه مال الى الفلسفة وقرأ التآليف العربية التي الفت في فلسفة ارسطو فاثر ذلك فيه شكوكا في دينه وعشق بنتا لجارة تخطبها اليه فلم يقبل. ولعل هذه الحادثة غيرت فكره فدخل الدير وبقي هناك ست سنوات في زهد وسكون، ولكن القصائد التي نظمها في تلك المدة تشعر بأنه ينقم على الكنيسة ما كان يوجد فيها من الفساد. ونال شهرة عظيمة فصار سادنا لكنيسة (سنت مارك) فاكسبه ذلك نفوذا عظيما. فنشأت مشاغبات بينه وبين البابا فقبض عليه وعذبوه عذابا اليما. ثم حكموا عليه وعلى تلميذيه بالقتل وكان احدهما متهيجا بالقتل مع معلمه واما الثاني فكان كئيبا. وقصارى طلبه بعد الحكم ان يجتمع بتلميذيه فنال مطلبه ولما اجتمعوا وجدوا ان الدولة قالت لكل واحد منهم ان صاحبيك قد اعترفا بخطيئتهما وكان قولها كذبا ومينا. ثم صلبوهم بعد ايام قليلة واحرقوا اجسادهم.

يسع شرح ما عمله المور فى خدمة العلم ولو بغاية الاختصار، ولاسيما خدمتهم للرياضيات والفلك والكيمياء والطب. والفصول الطوال الثمانية والعشرون التي يحتوي عليها كتاب اسكوت ليست الا اشارة مختصرة لاعمال المور العظيمة. ولا ينصفهم بشرح اعمالهم الا مجلد ضخم.

وكان علم الهيأة من اجل علومهم التي هذبوها احسن تهذيب. وكان علماء الفلك فى بغداد هم الوارثين لعلوم بابل والاسكندرية وانتقل ذلك الى الاندلس. وكانت بيوت العبادة ـ المساجد ـ تستعمل مراصد لمراقبة حركات الاجرام السماوية كما كان فى بابل. فكانوا يرصدون النجوم على رؤوس المنائر. ولعل الكلدبين (ولا نقل الكلدانيين) علماء الفلك منهم، قد اكتشفوا كل ما يمكن اكتشافه بالعين المجردة، ولكن علماء الفلك من المور كانت لهم آلات ذات دقة واحكام مركبة على رؤوس المنائر. ولم يكن عندهم (تيلسكوب) طبعا، وان كانوا هم الذين وضعوا اساس علم النور والمرئيات. وروجر بيكن[1] مدين لهم باكثر مما يتصور المعجبون به من الكاثوليكيين. وكانت عندهم عشرة انواع من الاسطرلاب، وعدة آلات اخرى عدا ما عندهم من الكرات الارضية والسماوية. وقد اكتشفوا ان «الصاعقة» وتسمى فى غير اسبانيا من بلاد أوربا «النجم الثاقب» كتلة كثيفة تدخل جو الارض ولهم رأي صائب فى ارتفاع

---

1 - (روجر بيكن Roger Bacon) (1214 - 1292) الفيلسوف العالم الانكليزي. دخل جامعة اوكسفورد واحرز شهادة «معلم علوم» ثم ذهب الى باريس وكان يلقي محاضرات في مؤلفات ارسطو ولم تكن محاضراته ناضجة الا انها كانت تدل على سرعة ادراكه وتوقد ذهنه. ثم اضطر الى ترك الاشتغال بالعلوم لمدة وجيزة لاختلال صحته، لكنه ثابر على التاليف وعزم على تاليف كتاب جامع في الطبيعة، لكنه رأى ان هذا العمل كبير فبادر بتاليف بعض الرسائل. ثم عاد الى انجاز عزمه، وكتب اليه البابا يلتمس منه ان يبعث اليه بنسخ من مؤلفاته، وكان منسوبا لجمعية الرهبان المعروفة بفرانسيسكان، ولكنه لم يتردد في الرد عليهم ولاسيما على علمائهم. وكانت حرية فكره سببا للقبض عليه وحبسه من سنة 1277 الى 1292. وتآليفه كثيرة في التاريخ والفلسفة والطبيعيات ويقال انهم حبسوه عشرين سنة ومنعوا عنه الكتب وادوات الكتابة والآلات العلمية.

الهواء وقلة كثافته. ووضعوا جداول لحركات النجوم، ووضعوا اول استنباط مدقق لطول السنة، وادركوا الشذوذ الواقع فى مدار الارض ووضعوا رقوما لتعاقب الاعتدالين.

والكيمياء الاولى لفظ عربي وكذلك الجبر وهناك الفاظ اخرى عربية تذكرنا بما للمحمديين علينا من فضل فى الوجهة العلمية. لقد استنبط المور قواعد الكيمياء، ولو ان مدنيتهم ابقى عليها واستمر تقدم ثقافتهم لكنا اليوم نعيش فى عالم اعجب وارقى مما نحن فيه. والعرب هم الذين اخترعوا البارود، لا اهل الصين كما يتوهم العامة — ولست اعني ان اختراع البارود نعمة وانما ذكرته آية على خصب عقول المور وانه من ثمرات عقولهم — وهم اول من صنع البندقيات. وصنعت المدافع فى غرناطة فى القرن الثالث عشر. ولا شك ان الكيمياء القديمة هي الصورة الابتدائية للكيمياء الحديثة. ولقد كان فيها ضياع عظيم للاوقات فى تتبع الاوهام، ولكن من الواضح ان العلم لابد له ان يجتاز ذلك الطور قبل ان يصل الى تحليل المركبات المادية وردها الى عناصرها الاولى

ولهم فضل عظيم فى السبق الى خدمة الطبيعيات لمهارتهم فى الرياضيات. ورسموا جداول الثقل النوعي، او الجاذبية الارضية، وقدروا تخمينا طبيعة الجاذبية الشعرية — نسبة الى الشعرة لدقتها —. وهم المخترعون الحقيقيون لبيت الابرة. المسماة عند العامة بالبوصلة — وأما اهل الصين فانما اوصلوا الى العرب علم مناسبة الابرة المغنطيسية، والعرب هم الذين ركبوها فى دائرتها، واتحفوا الملاح بهذه الآلة التي لا ثمن لها عنده. واخترعوا الساعة الكبيرة ذات (البندول) والعجلة واتقنوا الميزان، وهم الذين ابدلونا الرقوم العربية (والحقيقة انها هندية) بالرقوم

الرومية الثقيلة المتعبة. [1] وهم الذين استنبطوا قواعد علم النور والمرئيات التي هذبها فيما بعد روجر بيكن. ووضعوا قواعد الكهرباء التي بنى عليها كربرت (2) مباحثه. وحتى علم طبقات الارض (جيولوجيا) قد اشتغلوا فى اساسه، ووقفوا على السنة الكونية فى التفتت ودرسوا طبيعة الصخور

واما علم المعادن (مينورولوجي) فقد خدمه حكماء العرب فى القرن العاشر. قال الدكتور «وودورد» [3] فى كتابه (هستري اوف جيولوجي - تاريخ علم طبقات الارض) [4]: «ومن الذين الفوا فى صورة المعادن وتركيبها الطبيب ابن سينا» «على حين كان المور هم قادة العلوم فى الغرب» وقال الاستاذ فوربز [5] فى كتابه (ذي هيستري اوف استرونومي - تاريخ علم الهيأة) [6]: «وابن رزقلة من اهل طليطلة اضاف تحسينا عظيما الى الجداول الشمسية» وقال الاستاذ ميال [7] فى كتابه (هيستري اوف بيولوجي - تاريخ علم الحياة [8] عند الكلام فى العلوم على وجه عام «لقد تقدمت العلوم بسرعة تحت حكم الخلفاء» وقال سر ادوارد ثورب [9] فى كتابه (ذي هيستري اوف كيمستري - تاريخ علم الكيمياء الحديثة): [10] «لقد تقدم علم الكيمياء الحديثة تقدما معتبرا» والحقيقة انك لا تجد البتة علما من العلوم الا والفضل الاكبر فيه للمحمديين من اهل المغرب واهل الاندلس. واعظم من ذلك كله ان لهم الفضل علينا فى احياء العلوم وبث روحها وعزمهم العظيم على ان يجدوا قواعد صحيحة لسنن الطبيعة

- 1 - في هذا نظر من وجهين. الاول ان رموز الغباري التي انشأها عرب المغرب مغايرة للرموز المسماة بالهندية. والثاني ان هذه ايضا لم نجد دليلا بعد البحث الشديد على انها انشئت في الهند.

- 2 - Gerbert - 3 - Dr· Woodward - 4 - History of Geology - 5 - Professor Forbes - 6 - History of Astronomy - 7 - Professor Miall - 8 - History of Biology - 9 - Sir Edward Thorpe - 10 - History of Chemistry.

الحقيقية، وان كانت منعت من التقدم بضعة قرون بسبب ضغط الكنيسة، ولكن لم يمكن محوها من ذهن الانسان.

وسجية الانسانية الكاملة التي كانت متمكنة من المور حملتهم على ان يعنوا عناية خاصة بعلم الطب. وكان علم الكيمياء عندهم فى اول الامر انما هو علم اضافي لتكميل علم الطب أى علم العقاقير، ووجد المور فى هذه الوجهة امامهم عقبة كئودا بسبب المتعصبين من اهل عقيدتهم فلذلك لم تتقدم الجراحة الا قليلا وبقيت في يد الحجام، ولكن فلا شك فى ان كبار مدرسي الطب من المور واليهود شرحوا الحيوان، بل لا يبعد ان يكونوا قد شرحوا اجساد الاناسي خفية. وعلى كل حال فخدمة الاطباء العملية كانت قد ارتقت هناك الى مستوى عال، وكانت بقية اوربا في الحضيض الاسفل، وكان اكثر العلماء كيفما كان علمهم اساتذة ماهرين في الطب. ويروى ان دور الاطباء حتى اكابر الاغنياء منهم كانت مفتوحة فى كل وقت للفقراء. وهم الذين ادخلوا كثيرا من العقاقير الجديدة الى أوربا ولم يكونوا فى خدمة التاريخ اقل حماسة منهم فى خدمة العلوم والفلسفة والشعر. وتقدم علم تخطيط البلدان (الجغرافية) عندهم تقدما اساسيا، لان المور كانوا ملاحين شجعانا حذاقا فى الملاحة فى وقتهم. فكانت رحلاتهم واسعة على قدر طموحهم وولعهم الشديد بحب الاستطلاع والتنقيب. وليس فضلهم فى خدمة علم النبات باقل مما سبق، لان الخلفاء بعثوا العلماء لمراقبة الاعشاب والبقول عن كثب فى جميع اقطار اسبانيا. وكانت حدائقهم فنية على مقتضى علم النبات، تحتوي على طرائف الشرق والغرب. وكانت عندهم ايضا طوائف انواع الحيوان لدرس علم الحيوان ولهم ملاحظات وتنبيهات فى التاريخ الطبيعي تختلف

عن القصص الجاف الذي يرويه اهل البلدان الاخرى.

وهذه الاخبار وان كانت مختصرة جدا فهي كافية في دلالة القاري، على ان المور هم الذين وضعوا فاتحة هذه المدنية الجديدة في اهم نواحيها والحق اقول، ان هلاك ثقافتهم الذي يبدي ويعيد المقررون في تقريره ببلاغة ويسمونه «طرد الكفار» قد اوقف رقي النوع البشري مدة من الزمان، ومهما كان فلم يمكن اطفاء انوار علومهم كلها، ولهم اولا ثم لليونانيين الاقدمين بواسطتهم يرجع الفضل في ايجاد طلائع العلم من النصارى ككربرت وروجر بيكن وآلبيرت الكبير[1] وكروستيست[2] فهم الذين علموهم. فاقرا مثلا سيرة كربرت تجده قد ولد في جنوب فرنسة وتعلم في برشلونة ثم في جامعة قرطبة. فكل ذرة من علمه المتبرجات من المور. فتح كربرت مدرسة في ايطاليا فقامت قيامة الرهبان واثاروا الرعاع عليه فاحرقوا مدرسته وكسروا ادواته وشتتوا شمل تلاميذه. والحكام الماديون لم يسعهم الا ان يكرموا عالمهم النصراني الذي ليس لهم غيره. فبمساعدتهم صار اسقفا، ومن مساخر التاريخ انه صار بعد بابا وسمي

- 1 - آلبيرت الكبير Albert the Great ـ 1193 ـ 1280 ـ كان يلقب كونت بولستاد وكانوا يسمونه عالم العصر. ودخل في سلك الرهبان وعين اسقفا للبلدة راتسبون ثم استعفى وآثر العزلة في سنة 1262 وذهب الى كولون ليقضي بقية عمره في التاليف والتصنيف وتوفي هناك. وقد ترك احدا وعشرين مجلدا. وكان يفوق جميع علماء زمانه في سعة علمه. وكان يقلد ارسطو تقليدا تاما، وكان ضليعا في شروح كتاب ارسطو التي الفها العرب واليهود والاوربيون. وكان يريد ان يوفق بين آراء ارسطو وآراء الكنيسة

- 2 - روبرت كروستيست Robert Grosseteste 1175 - 1253 درس في لنكن واوكسفورد وباريس، وتعين في منصب المعلم الاول في علم الكلام ثم صار اسقفا. وبادر فورا الى ازالة المفاسد الموجودة في الكنيسة فاثار على نفسه حقد البابا انوسنت الرابع، لان البابا كان يمنح المناصب الدينية في انكلترا الى اوباش اروم الذين كانوا يقبضون رواتبهم ولا يكلفون انفسهم بالذهاب الى انكلترا. وكان كروستيست يبذل كل جهد ضد هذا المسلك، ولذلك وقف عن مباشرة منصبه موقتا وكان دائما معرضا لخطر الحرمان. وفي آخر سنة من سني منصبه عصى امر البابا بتعيين ابن اخيه اي البابا في منصب ديني ويقال ان البابا حرمه وكفره بسبب ذلك ولكن اتباعه الدينيين كانوا خاضعين له. وقد ترك آثارا عديدة من الكتب تبلغ فهرستها 25 صحيفة مطبوعة بحروف صغيرة

اسئلة المغرب الجديد

مأخذ لفظة مخزن

واطلاقها على معنى الحكومة

كان في الدولة الاموية في الاندلس خطة عليا يقال لصاحبها «خازن المال» وهو يقابل «ناظر المالية» في ايامنا هذه كما كان هنالك خطة يقال لصاحبها «خازن السلاح» او «خازن الاسلحة» وهو يقابل من كان في الدولة العثمانية يقال له «مشير الطوبخانة» وكان يقال «خزانة المال» للخزانة العامة اي العائدة للدولة. ولم يكن يقال في قرطبة «بيت المال» الا لخزانة الاوقاف والصدقات ولذلك جعلوا بيت المال في مقصورة الجامع الاعظم في قرطبة تحت نظر قاضي الجماعة. اما خزانة المال اي خزانة

«سيلفيستر الثاني» وكان ذلك في اسفل عصور البابوية. وبعد اربع سنين مات وهناك تهمة قوية انه مات مسموما فلعنت الكنيسة ذكراه ثم هي اليوم تفتخر به !!!.

لكن روح علوم المور الحقيقية لم يمكن قتلها، فاخترق نور مدنيتهم المشرق ضباب الخرافة والجهل ونتج شيئا من الحياء ومكارم الاخلاق، وحرك رغبة أوربا في العلوم العقلية، وفي القرن الحادي عشر «التالي لعصر قرطبة الذهبي» اخذت أوربة تخرج من بربريتها، ومعظم اسبابه التقدم السياسي الذي نشأ عنه التقدم الاقتصادي، فصارت القرى مدنا والمدن الصغيرة امصارا، فالعامة احرزوا قسطا من العلم، والاشراف طمحوا الى المعالي ولما صحت اليقظة الفكرية في الممالك النصرانية كان لازما ان تؤثر فيهم المدنية الاندلسية الزاهرة آثارها

الدولة فكانت فى قصر الخليفة

وكانت الاموال الداخلة وجميع انواع المستغلات يقال انها عائدة للخزانة، فصارت الخزانة كانها مرادف للفظة الدولة ويظهر انهم قالوا «المخزن» أيضاً فصار المخزن ايضا رديفا للفظة الدولة. ولم اطلع انهم عبروا «بالمخزن» عن الدولة فى زمان بني أمية، ولكني رأيت هذه اللفظة مستعملة بمقام الدولة او الحكومة فى ايام بني الاحمر، واتذكرانى قراتها فى الاحاطة للسان الدين بن الخطيب بهذا المعنى ولكن فى مقام مالي له مناسبة مع اللفظ

وقد قرأت فى العدد الرابع من المغرب الجديد بحثا منقولا عن الكاتب المؤرخ السيد محمد بن علي الدكالي يتعلق باطلاق لفظة مخزن على الحكومة من باب تسمية الكل باسم البعض وقال انه لا يعرف متى بدأوا بهذا الاصطلاح وانما يرجح كونهم بدأوا به من قديم وانه كان معروفا فى القرن الخامس، وذلك لان ابا بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق روى فى تاريخ له ان دولة الموحدين استولت على كل ما كان لدولة المرابطين ومن الجملة «عبيد المخزن» فدل هذا على انهم كانوا يعرفون هذا الاصطلاح من ذلك الوقت اي من ايام الموحدين. فلا عجب اذا ان يكون معروفا فى ايام بني الاحمر فى غرناطة وان يجري فى كلام لسان الدين بن الخطيب الذي عاش فى القرن الثامن، اما فى المشرق فلم اجد لهذه اللفظة اثرا بمعنى الحكومة على الاطلاق.

جنيف، رمضان 1354 — شكيب ارسلان

ان كل طبقة من طبقات الامة لها رسالة يجب ان تؤديها وليس فى كل هذا أجدى وأنفع من أن يؤدي الشباب رسالتهم .. احمد امين

تــاج المتنبى

شعر الحقيقة مطمح الزعماء ... المالكين أزمة الاهــــواء
المالئى الـدنيـا بوقع دويهم ... المتطين مناكب الخضراء
الصائبى كبد الحقيقة بالذي ... قد سـددوا من أسهم الآراء
الفالقى قلب الصخور بروعة ... جـالت بمجال الطعنة النجلاء
الشائدين على العروبة مجدهم ... الجائلين بانفس القـــراء
الخالعين عـلى المعاني حلة ... فياضة بالعزة القعســـــاء
الرافعين على المنابر والربى ... يوم الرهان لنا أعز لواء
الطائرين بنا الى اوج العلى ... مثل الملائك في سنا وسناء
الطامحين، وان تلين قناتهم ... المرغمين معـــــاطس الارزاء
السابحين لنيل غايات المنى ... بحر الحياة بحكمة ومضـــاء
لم تثنهم هوج الرياح ولم ينل ... من بأسهم ذو الغارة الشعواء
حتى استقلوا بالسيادة فى الدنا ... فى سائر الاشياء والانحـــــاء
وتذوقوا معنى الحياة فشيدوا ... للشعر مملكة على الجـــوزاء
فازداد شاعرهم بذلك نخوة ... يزهى بها في مجلس الامـــراء

* * *

والشاعر الطماح أزهى من مشى ... فوق البسيطة من بني حواء
يجتاز حجب الغيب فوق طموحه ... متخطيا كالبرق في الظلماء
مستصدرا ما ليس يلحق شأوه ... من مصدر الالهام والايحـاء

* * *

والشعر تيار الشعور يثير من ... كل المشاعر كامن الاغراء
والشعر تاج المستقل بنفسه ... في روعة الانشاد والانشـاء
والشعر عرش لا يليق به سوى ... من جاوز الشعرى من الشعراء
كالشاعر الكندي احمد من غدا ... بطموحه في الذورة العصماء

هاروحه قامت تردد في الورى شعر الخلود وخالد الاصداء
ذكراه بعد الالف عام اصبحت منصورة الاعلام في الهيجاء
فيها راينا الملك دون مقامه وبه الممالك تحتفى بسخاء
حتى تخيلناه فاتحها الذي قد قاد قادتها بحبل إخاء
دعوى تنبئه لعمرى حيلة قد حاكها متلونوا الايذاء

* * *

إذ كان يهوي الملك والدنيا ترى إذ ذاك تحت او امر الادباء
والخيل والبيداء تعرف بأسه والليل درع طماحه الابناء
وله بأخلاق الملوك تمكن يسمو به لمكانة شماء
لم لا تحاك له الدسائس خيفة وصداه كالزلزال في البيداء
ان الطموح يثير حول كماته حرباً من الاضداد والاعداء
والحر في نظر الاعادى فتنة دهياء تكتسح الدنا بدهاء
والحر سهم نافذ متجول بمقاتل الاشرار واللؤماء
والحر شمس للحقيقة اشرقت تزجي الحياة لانفس البؤساء

* * *

إيه نبي الشعر كم رعت الحشا من حاسديك بثايك الغراء
ولكم تسابقت الملوك اليك كي تختال منكم في برود ثناء
فخلعت منه على «بني حمدان» ما يزداد طول الدهر حسن رواء
بل صغته تاجا على هاماتهم فمشوا بتاجك مشية الخيلاء
وتسنموا متن الخلود وسايروا روح الحياة بجانب الاحياء
ومنحت «كافور الخصى» ممادحا تمحو لعمري عنه عار خصاء
ثم انقلبت عليه تضرب خلفه للوعد مندفعاً بسوط هجاء
والوعد دين لايفي ابداً به الا الوفى الحر خير وفاء
فايهج كل فتى تلون في الوفا يوما بدين الوعد كالحرباء

الامام ابن خلدون وتاريخ المغرب

عرض ونقد

وثائق تاريخية تلاحظ على بعض ما كتبه ابن خلدون عن رقي
المغرب ومعارفه في القرن الثامن

2 تابع لما قبله

عقد الامام ابن خلدون الفصل السادس من الكتاب الاول في مقدمته للكلام على العلوم وأصنافها، والتعليم وطرقه، وما يعرض في ذلك كله من الاحوال ووضع ذلك في ابحاث متتابعة متناسقة الترتيب حسب الموضوعات والاهمية، وجعل كثيرا من آحاد الفصول كالمرقاة لما يليها، الصنع الذي يدل على علمه بالموضوعات التي يعالجها، وعلى تناسقها في

قد خضت في وصف الوقائع خوض من ... خاض المعارك تحت كل سماء
خلنا به نار الوطيس تاججت ... ودما الخصوم تسيل كالدأماء
ولقد بنيت على القوا في دولة ... امسيت فيها فاقد النظراء
تعنو القرائح حول عرشك سجداً ... إذ حل تاجك هامة العلياء
من شعرك الحكم الغزار تدفقت ... حتى عرفت بشاعر الحكماء
ولرب بيت منه فاق قصيدة ... من غيره في روعة وثراء
يا شاعر الابداع قم وانظر الى ... ذكراك تملأ سائر الانحاء
ضربت على اوتارها صحف الورى ... فاستهوت الدنيا بحسن غناء
حتى لويت على العصور ملاءة ... قد طرزت ببدائع الاملاء

* * *

في يوم موتك وهو عار عارض ... أهدت لك الذكرى جمال بقاء
ابدعت في قرض القريض فجددت ... أمراؤه ذكراك بالاطراء
فاسمع بها ما يطبيك فانما ... شعر الحقيقة مطمح الزعماء

محمد بن اليمني الناصري

فكره تناسقا يشهد له بالبراعة والعبقرية النادرة، فتكلم اولا على «ان العلم والتعليم طبيعيان في العمران البشري» وشرح أسباب ذلك، ثم قفى على ذلك في الفصل الثاني «بأن التعليم للعلم من جملة الصنائع» وعلل ذلك باختلاف الاصطلاحات في تعليم العلم الواحد، مع وحدة العلم في نفسه، وبأن حصول الملكة في العلم - بكثرة ممارسته وحسن التصرف فيه - هو في غير فهم آحاد المسائل، لاشتراك العامي والمبتدي مع العالم النحرير في فهمها وإدراكها، أما الملكة فانما تحصل للعالم او الشادي في الفنون، وحيث كانت الملكات عنده جسمانيات، والجسمانيات كلها محسوسة، افتقرت إلى التعليم، ولهذا كان «سند» التعليم في كل علم أو صناعة الى مشاهير المعلمين فيها أمرا معتبرا عند اهل كل افق وجيل، هذه خلاصة فكرته، فلما احكم هذه القضية نظريا، انتقل الى تطبيقها عمليا على الامم، شأن المؤرخ الاجتماعي الضليع، فقال: «واذا تقرر ذلك فاعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب، باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه، وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها كما مر، وذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس، واستبحر عمرانهما، وكان فيهما للعلوم والصنائع اسواق نافقة، وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما، وما كان فيهما من الحضارة، فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب إلا قليلا كان في دولة الموحدين بمراكش، لبداوة الدولة الموحدية في أولها، وقرب عهد انقراضها بمبدئها، فلم تتصل أحوال الحضارة فيها الا في الاقل، فأخبر بانقطاع التعليم من المغرب بسائر أقطاره بعد اختلال قرطبة والقيروان، ثم أفادنا أن دولة الموحدين بمراكش استفادت قليلا من

العلوم السابقة بالاندلس والقيروان، ولكن لم ترسخ الحضارة فيها لبداوتها وقرب عهد انقراضها بمبدئها، وعليه فقضية انقطاع التعليم مـن المغرب صحيحة مسلمة عنده، وبناء على صحة هذه القضية سيحدثنا الامام ابن خلدون عن رحلة ابى القاسم ابن زيتون للشرق، وسيأتي ما في ذلك.

والامام ابن خلدون حريص على ان يكون حديثه عن التعليم بالشمال الافريقي جاريا على ما يقرره من قواعد العمران، فهو يرى دائما «ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة» حتى انه جعل هذه الفقرة عنوانا للفصل الثالث داخل الفصول التي خصصها للكلام على العلوم، فلاجل هذا علل قرب انقطاع سند التعليم في المغرب باختلال عمرانه وعدم رسوخ الحضارة في دولة الموحدين، وحيث أن قضية ربط العلوم بالحضارة والعمران من الامور الاساسية عند امامنا ابن خلدون، أرى نفسي مضطراً للسير في اتجاهاته أثناء البحث بالاشارة الخفيفة الى بعض جمل تتعلق بحضارة المغرب، وانما نبهت على هذا لئلا انسب الى الخروج عن الموضوع الذي يمس ناحية التعليم، فقضية الحضارة والعمران عند إمامنا كما يرى القارىء تمس ناحية العلم والتعليم كثيرا، وقد فصل الكلام على التعليم بافريقية والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى، الا أن الذي يناسب ما اخبر به هنا من انقطاع التعليم بالمغرب عموما، هو مـا ذكره عن المغرب الاقصى بعد بيان حالة تونس وتلمسان وبجاية بقوله: «وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلواً من حسن التعليم، من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيهم، فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم».

وما ذكره الامام ابن خلدون هنا مـن انقطاع سند التعليم بفاس،

من وقت انقراض تعليم قرطبة والقيروان، يخالفه فيه على خط مستقيم المؤرخ الثقة الرحالة عبدالواحد المراكشي، الذي يروي أن فاسا خلفت قرطبة والقيروان معا، وأن الحضارة والعلوم استحكمت فيها من ذلك الحين الى وقته قال عبد الواحد: «ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا، وموضع العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وقرطبة، اذ كانت قرطبة حاضرة الاندلس، كما كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمر القيروان كما ذكرنا بعيث العرب فيها، واضطرب امر قرطبة باختلاف بنى امية بعد موت أبي عامر محمد ابن ابي عامر وابنه، رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة، فرارا من الفتنة، فنزل اكثرهم مدينة فاس، فهي اليوم على غاية الحضارة، وأهلها في غاية الكيس، ونهاية الظرف، ولغتهم أفصح اللغات في ذلك الاقليم، وما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب، وبحق ما قالوا ذلك، فانه ليس بالمغرب شيء من أنواع الظرف واللباقة في كل معنى الا وهو منسوب اليها، وموجود فيها، ومأخوذ منها، لا يدفع هذا القول أحد من أهل المغرب» ثم يقول بعد ذلك: «وما أظن في الدنيا مدينة كمدينة فاس اكثر مرافق وأوسع معايش وأخصب جهات وذلك أنها مدينة يحفها الماء والشجر من جميع جهاتها، وتتخلل الانهار اكثر دورها، زائدا على نحو من أربعين عينا تنغلق عليها أبوابها، ويحيط بها سورها، وفي داخلها وتحت سورها نحو من ثلاثمائة طاحونة تطحن بالماء، ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج الى شيء يجلب إليها من غيرها إلا ما كان من العطر الهندي سوى مدينة فاس هذه، فانها لا تحتاج الى مدينة في شيء مما تدعو اليه الضرورة، بل هي توسع البلاد مرافق

وتملأها خيرا».

وعبد الواحد المراكشي رحل وجال في الاقطار، وهو عارف بما يقول، ومتثبت غاية، وقد قال في حق كتابه: «ولم أثبت في هذه الاوراق المحتوية على دول المصامدة وغيرها، الا ما حققته نقلا من كتاب أو سماعا من ثقة عدل، أو مشاهدة بنفسي، هذا بعد أن تحريت الصدق وتوخيت الانصاف في ذلك كله، وجهدت ان لا انقص احدا ذرة من له، ولا أزيده خردلة مما لا يستحقه» فالامام ابن خلدون يقول أن فاسا وسائر أقطار المغرب بقيت خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، والمؤرخ المراكشي يقول انه اجتمع فيها علم هاتين الحاضرتين وانها لغاية وقته على غاية الحضارة إلا ان الامام ابن خلدون في غير هذا الموضع يؤيد عبد الواحد المراكشي فيما حكاه عن فاس من الحضارة والعلم، أما في الحضارة فقد عقد في المقدمة فصلا قرر فيه «أن الامصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها ويخلفها كرسي الملك الثاني» ومثل لذلك بعدول دولة بني العباس عن دمشق الى بغداد وعدول بني مرين عن مراكش الى فاس، وقد تكلم عن استبحار العمران في ايام السلطان ابي الربيع المريني بالمغرب، وخصص العاصمة الفاسية بالذكر، قال في ج 6 رقم 228: «وكانت ايامه خير ايام هدنة وسكونا وترفا لاهل الدولة، وفي ايامه تغالى الناس في اثمان العقار، فبلغت قيمتها فوق المعتاد، حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس، بالف دينار من الذهب العين، وتنافس الناس في البناء، فعالوا الصروح واتخذوا القصور المشيدة بالصخر والرخام، وزخرفوها بالترليج والنقوش وتناغوا في لبس الحرير وركوب الفاره، واكل الطيب، واقتناء الحلي من

الذهب والفضة، واستبحر العمران، وظهرت الزينة » فهذه القطعة لها قيمة غالية من الامام ابن خلدون، وهي من جهة تعيين الزمان والسلطان في القرن الذي عاش فيه، ومن جهة تخصيص العاصمة الفاسية بالذكر اضبط بكثير من كلامه في المقدمة على المغرب عموما، وحكايته هذه ايدتها مشاهدته بعد ذلك لطول اقامته بفاس، وهو قد اعترف في المقدمة بوجود الحضارة في دولة الموحدين وان نفى رسوخها، الا أن اخباره العمران المستبحر، وهذا التفنن في زخرفة الابنية وفي انواع الملابس الحريرية، وفي اقتناء الحلي من الذهب والفضة، وفي اختيار اطيب المآكل، واتخاذ أنفس المركوبات، وتسجيله لذلك كله في عنفوان دولة المرينيين وبالاخص في زمن السلطان ابي الربيع، في العقد الاول من القرن الثامن، يدل على اتصال الحضارة الموحدية بالحضارة المرينية، فإن هذه الاحوال تدل على تمكن الحضارة، لا على ابتدائها، ولم يمر على انقراض الموحدين مدة طويلة تضمحل فيها حضارة دولة وتنشأ حضارة دولة أخرى حتى نقول بذلك، فالذى يظهر لي ان قطعة الامام ابن خلدون وصلة لكلام عبد الواحد المراكشي المتقدم. والنتيجة التي نصل اليها واضحة، وهي ان عاصمة المغرب الاقصى خلفت القيروان وخلفت قرطبة في الحضارة من لدن اختل امرهما الى زمن السلطان ابي الربيع، ويوافق الامام ابن خلدون المؤرخ عبد الواحد المراكشي في شأن حضارة عاصمة فاس منذ حكم الموحدين، وبالطبع غير العاصمة يكون دونها في الحضارة، ولكنه تابع لها على نسبة العمارة ورفاهية السكان، وقد حدثتني نفسي ان الاحظ هنا ان الحضارة والعمران كانا موجودين بفاس قبل اضطراب امر قرطبة والقيروان، لان اكثر العلماء والفضلاء

الراحلين من قرطبة زمن الفتنة بها الواقعة سنة 400 ومن القيروان بعد عيث العرب فى حدود 440 ما اختاروا مدينة فاس للنزول بها الابعدان كانت مستبحرة العمران وعلى جانب من الحضارة، لان العلم إنما يروج في اعاظم الامصار كما يقرره الامام ابن خلدون نفسه وكل سوق تجاب اليه البضاعة الرائجة فيه

واما موافقة ابن خلدون فى غير المقدمة لما ذكره المؤرخ المراكشي من ازدهار فاس بكثرة العلماء فانها من الاهمية بمكان، فقد تلمذ لعلماء المغرب، واحتفل بهم فى ترجمته التي كتبها لنفسه بنفسه فى آخر تاريخه العظيم، لانهم قدموا عليه عقر داره بتونس وهو لم يجاوز 17 سنة، فأخذ عنهم واعجب بهم واتخذ منهم الاصحاب والاشياخ، وكان رجوعهم من تونس الى المغرب، السبب الوحيد الذي حمله على الرحلة الى المغرب الاقصى، لتتميم دراسته، فزين بهم ترجمته، وكرر تراجم عدد منهم، ذكرها اولا مختصرة ثم كر عليها بالتفصيل، قال عند ما تكلم على نشأته وذكر ان اشياخه «درجوا كلهم فى الطاعون الجارف» سنة 749: «وكان قدم علينا فى جملة السلطان ابى الحسن عند ما ملك افريقية سنة ثمان واربعين جماعة من اهل العلم، كان يلزمهم شهود مجلسه، ويتجمل بمكانهم فيه» فذكر شيخ الفتيا بالمغرب ابا عبد الله السطي، وامام المحدثين عبد المهيمن الحضرمى، وامام المغرب احمد الزواوي، وشيخ العلوم العقلية محمد بن ابراهيم الابلي من شيوخه وما اخذه عنهم، ثم ذكر صاحبه كاتب السلطان ابن رضوان، وبعد ان وصفه بانه من مفاخر المغرب وذكر مواهبه قال: «فلما قدم علينا بتونس صحبته واغتبطت به، وان لم اتخذه شيخا لمقاربة السن فقد أفدت منه كما افدت منهم وقد مدحه صاحبنا

ابو القاسم الرحوي شاعر تونس فى قصيدة على روى النون يرغب منه ان يذكره لشيخه ابي محمد عبد المهيمن فى ايصال مدحه للسلطان ابي الحسن فى قصيدة على روى الياء وقد تقدم ذكرها فى اخبار السلطان، وذكر فى مدح ابن رضوان اعلام المغرب القادمين مع السلطان:

هم القوم كل القوم اما حلومهم فأرسخ من طودي ثبير ونهلان
فلا طيش يملوهم وأما علومهم فأعلامها تهديك من غير نيران

وقد تحمل امامنا ابن خلدون مشقة عظيمة من اجل رحلته للاخذ عن علماء المغرب الى ان جاء اليه وحصل مقصوده من اتمام دراسته، فقد مهد لتوظفه بتونس ورحلته للمغرب بقوله: «ولم ازل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دروس العلم وحلقاته، الى ان كان الطاعون الجارف، وذهب الاعيان والصدور، وجميع المشيخة، وهلك ابواي رحمهما الله، ولزمت مجلس شيخنا ابى عبد الله الابلي وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين الى ان (هنا بياض) بعض الشيء واستدعاه السلطان ابو عنان فارتحل اليه» ثم ذكر ان ابن تفراكين المستبد على الدولة بتونس استدعاه الى كتابة العلامة لانه اراد الخروج مع سلطانه ابى اسحاق الى لقاء صاحب قسنطينة الناهض اليه ابى زيد حافد السلطان ابى يحيى فتعلل عليه صاحب العلامة ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر بالاستزادة من العطاء، قال الامام ابن خلدون: «فنزله وأدالني منه فكتبت العلامة عن السلطان، وهي الحمد لله والشكر لله بالقلم الغليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة ومرسوم، وخرجت معهم اول سنة ثلاث وخمسين، وكنت منطويا على الرحلة من افريقية لما أصابني من الاستيحاش لذهاب اشياخي وعضلاني عن طلب العلم. فلما رجع بنو

مرين الى مراكزهم بالمغرب وانحسر تيارهم عن افريقية، واكثر من كان معهم من الفضلاء صحابة واشياخ؛ فاعتزمت على اللحاق بهم، وصدني عن ذلك اخي وكبيري محمد رحمه الله؛ فلما دعيت الى هذه الوظيفة سارعت الى الاجابة لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب وكان كذلك»

ثم ذكر انهزام صفهم فى ساحة القتال ونجاته الى ابة ثم تحوله الى سبتة وسفره الى قفصة والى بسكرة وناله بعد ارتحاله منها وافدا على ابي عنان خير كثير من حاجبه محمد بن ابى عمرو الذي وجهه السلطان الى بجاية بعد بعثهم بالطاعة وتبرئهم ممن قتل عامله وفناهم له. قال: «وارتحلت من بسكرة وافدا على السلطان ابى عنان بتلمسان فلقيت ابن ابى عمرو بالبطحاء وتلقاني من الكرامة بما لم احتسبه، وردني معه الى بجاية فشهدت الفتح، وتسايلت وفود افريقية اليه، فلما رجع الى السلطان وفدت معهم فنالني من كرامته واحسانه ما لم احتسبه اذ كنت شابا لم يطر شاربي، ثم انصرفت مع الوفود، ورجع ابن ابى عمرو الى بجاية، فاقمت عنده حتى انصرم الشتاء اواخر اربع وخمسين، وعاد السلطان ابو عنان الى فاس، وجمع اهل العلم للتحليق بمجلسه، وجرى ذكرى عنده، وهو ينتقي طلبة العلم للمذاكرة في ذلك المجلس، فاخبره الذين لقيتهم بتونس عنى ووصفوني له، فكتب الى الحاجب يستقدمني فقدمت عليه سنة خمس وخمسين، ونظمني فى اهل مجلسه العلمي، والزمني شهود الصلوات معه، ثم استعملني فى كتابته والتوقيع بين يديه، على كره مني، اذ كنت لم اعهد مثله لسلفي، وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من اهل المغرب، ومن اهل الاندلس الوافدين في غرض السفارة، وحصلت من الافادة منهم على البغية»

على ان اكثر الراحلين مع السلطان ابي الحسن قد غرقوا في ساحل بجاية والذين عاشوا بعد ذلك انما هم افراد تخلفوا عن ابى الحسن، فقد قال ابن خلدون نفسه في رقم 389 جزء 7 (1) من تاريخه: «ثم ركب السلطان ابو الحسن في اساطيله من تونس آخر سنة خمسين، ومر ببجاية فأدركه الغرق في سواحلها فغرقت اساطيله وغرق اهلها، واكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم، ورمى به البحر ببعض الجزر حتى استنقذه منها بعض اساطيله ونجا الى الجزائر بعد ان تلف موجوده والكثير من عياله واصحابه» وقال بعده في رقم 394: «وكان في جملة السلطان ابى الحسن جماعة كثيرة من فضلاء المغرب واعيانه، هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس وغرق جماعة منهم في اسطوله لما غرق، وتخطت النكبة منهم آخرين الى ان استوفوا ما قدر من آجالهم» وعدد العلماء الذين غرقوا مع ابى الحسن كثير، جاء في الجزء الاول رقم 119 من اتحاف اعلام الناس للمؤرخ الكبير نقيب الاشراف العلويين مولاي عبد الرحمن بن زيدان: قال في نفح الطيب: ان اساطيل السلطان ابى الحسن كانت نحو الستمائة فهلكت كلها، ونجا هو على لوح، وهلك كل من كان معه من أعلام المغرب، وهم نحو اربعمائة عالم ه كلام الاتحاف، فمن هنا نعلم ان الامام ابن خلدون جاء للمغرب لياخذ عن الجماعة الذين تخطتهم النكبة ونجوا من الموت في الطاعون الجارف ومن الغرق في الاساطيل وغيرهم من المغاربة والاندلسيين، وقد اخذنا من سبب رحلته الى المغرب ان الحالة العلمية به في نظره كانت خيرا منها بتونس، لانه عضل عن طالب العلم بتونس لذهاب اشياخه، فلما رحل الى المغرب صرح بانه

(1) اصلاح غلط: وقع في صفحة 23 سطر 17 في ج 6 والصواب في ج 7 «وسقط من ص 24 اول سطر 7 لفظ «بهذا»

مجلس الاعيان

في سنة 1322 هـ. (1904 م.) ظهرت في العالم الدولي تيارات خطيرة بالنسبة لبلادنا وقضيتها العامة، وهذه التيارات الجديدة ظهر اثرها محسوسا في الاتفاقات المنعقدة بين انكلترا وفرنسا من جهة وفرنسا واسبانيا من جهة اخرى زيادة على الاتفاقات التي امضيت من قبل بين فرنسا والمغرب وفرنسا وايطاليا، وازاء هذه التيارات ظهر فى بلادنا كغيرها من اقطار الاسلام والشرق تيار قوي جديد هو ميل رجال السلطة الى الاعتماد على الشعب والاستناد الى الراي العام، واشراك الامة في ادارة شئونها وتعيين مصيرها، وعند ما حضر سفير الجمهورية الفرنسية م.سان روني طاياندبى Saint-René Taillandier الى عاصمة المملكة المغربية وقابل جلالة السلطان الاسبق مولاي عبد العزيز بفاس(1905)وعرض على جلالته «مشروع الاصلاحات» التي تريد حكومته ادخالها فى المغرب اعلنه رسميا مباشرة وبواسطة وزير خارجيته عبد الكريم بن سليمان ان الراي الفاصل في هذا المشروع هو راي الأمة وانه يعتبر نفسه فردا

حصل على البغية، ولا تسلم هذه القضية الا اذا كان علماء المغرب لهم لهم ملكة تامة فى العلوم وحذق فيها، وهذا ما ينفيه، الامام ابن خلدون صراحة فى مقدمته، وللقارىء ان يقارن بين قوليه ويختار ما يشاء. وبعد، فما هي المعارف الرائجة فى ذلك العهد؟ وكيف كانت كفاءة العلماء المغاربة فيها؟ وهل الحركة العلمية كانت قوية بالمغرب وما هو رأي الامام ابن خلدون فيها؟ ذلك ما سنتحدث عنه فى الفصل القادم.

(يتبع) ـ محمد الطنجي

من افرادها لا اقل ولا اكثر وفعلا فقد كان جلالته دعا الى عقد مجلس شورى من أعيان الشعب وخواصه، ووجه دعوته الى مدن المملكة وقبائلها دون تمييز، واقترح على الامة ان توجه الى هذا المجلس من تثق بكفاءته وامانته من الوكلاء الاوفياء، وما كاد سفير الجمهورية الفرنسية ياخذ في عرض «مشروع الاصلاحات» على جلالته حتى كان نواب الامة قد وصلوا من كافة جهات المملكة الى العاصمة الفاسية، وامعانا فى تقدير الراي العام اقترح جلالته على السفير الفرنسى أن يحضر المذاكرة الخاصة بهذا الموضوع - الى جانب الوزراء - خمسة عشر شخصا من اعيان الشعب غير الرسميين، واعطاهم حق التدخل المباشر في هذه المفاوضات، ورغما عن معارضة السفير للفكرة اضطر الى قبولها لاصرار السلطان عليها، وهكذا كان السفير يفاوض السلطان مباشرة وعلى حدة، ويفاوض وزراءه بحضور الخمسة عشر عينا، وفيما بين هذه المفاوضات المتواصلة كان ينعقد «مجلس الاعيان» للاطلاع على تفاصيل المشروع الفرنسي وما يدور حوله من مناقشات وتعليقات وكان انعقاد جلساته تحت رياسة «قائد المشور» ادريس بن يعيش بصفته ممثلا للسلطان وبحضور الخمسة عشر عينا ورجال الحكومة المغربية، وبين يدينا عدة وثائق قومية واجنبية تعرفنا بما جرى فى هذا المجلس التاريخي من المحادثات والمناقشات، وقد بقى المشروع الفرنسي تحت الدرس من قبل السلطان والمخزن ومجلس الاعيان نحوا من خمسة اشهر، وفي يوم 28 مايو 1905 قوبل السفير فى القصر الملكي وكانت محادثته مع جلالة السلطان حول المشروع، فصرح له جلالته بان «مصير المشروع مرتبط بقرار مجلس الاعيان» كما سجل ذلك السفير نفسه في كتابه الذي هو عمدتنا في هذه النبذة. وبهذا الاتجاه السلطاني الديموقراطي، اعطى جلالته لمجلس الاعيان اختصاص توجيه السياسة الخارجية للدولة، واعترف له بحق قبول المعاهدات ورفضها، وهو أقصى حد تصل اليه سلطة المجالس التمثيلية. وفي نفس اليوم ونفس السنة انعقد مجلس الاعيان للمرة الاخيرة فقرر قراره الفاصل -1- بعدم قبول المشروع المقدم من السفير -2- ووجوب رفض المخزن لكل مشروع اصلاحي تريد مباشرته في البلاد دولة اجنبية كيفما كان، ما لم يكن مصحوبا بضمانات صريحة من كافة الدول -3- ولزوم دعوة السلطان الى عقد مؤتمر

دولي لبحث الاصلاحات المناسبة، رغبة في الاستئناس بالرأي الدولي العام وضمان استقلال المملكة ووحدتها ضد المطامع الاجنبية، والاعتداءات الخارجية. وعملا بهذا القرار الذي صادق عليه السلطان وجه مندوب صاحب الجلالة في الشؤون الخارجية السيد الحاج محمد بن العربي الطريس منشورا رسميا الى كافة سفراء الدول يدعو الى عقد مؤتمر في طنجة يحضرونه بالنيابة عن حكوماتهم ويحضره نواب المخزن الشريف لتبادل الراي فيما يخص الاصلاحات «التي تمس حياة الاجانب وتجارتهم» بناء على نظام الامتيازات الاجنبية الذي كان العمل جاريا به اذ ذاك وتسلم السفير الفرنسي كغيره من بقية السفراء منشور النائب الطريس في يوم 11 مايو بعد انتهاء دورة مجلس الأعيان بيومين، وفي نفس الوقت كتب وزير الخارجية ابن سليمان كتابا رسميا الى السفير يعلمه بقرار المجلس واستمرار المخزن على علاقاته الودية نحو حكومته، وفي طليعة ما سجله ابن سليمان في كتابه للسفير طبقا للامر الشريف «ان جلالة السلطان ليس في امكانه معارضة الشعب». وقد ذكر السفير في كتابه الذي نعتمد عليه أن ابن سليمان صرح له قبل ذلك في 25 ابريل على لسان السلطان «بان الحادثات التي تجرى بين الطرفين المغربي والفرنسي ليست لها اية صفة رسمية وان مشروع الاتفاق الذي تنتهي اليه لا يصبح نهائيا الا بعد مصادقة مجلس الاعيان، وان جلالته يعتبر نفسه كفرد من افراد المجلس» وقرار مجلس الاعيان بالدعوة الى عقد مؤتمر دولي هو من الوجهة المغربية أساس المؤتمر الخطير والعقد الشهير: المؤتمر الذي عدل عن عقده بطنجة وعقد في الجزيرة الخضراء بحضور سفارة مغربية تحت رياسة النائب الطريس، والعقد الذي عرف في العالم الدولي «بعقد الجزيرة» نسبة له بالمكان الذي وضع فيه، وقد وقعت عليه الدول بتاريخ 7 ابريل 1906. ولتكميل هذه النبذة ينشر «المغرب الجديد» هنا صورة من المنشور السلطاني الذي ارسل الى القبائل رغبة في بعث نواب منها يمثلونها الى جانب «اعيان الرعية» الآخرين، وهذا المنشور مطبوع بالطابع العزيزي الكبير الذي في داخل دائرته «عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه» ونصه ما يأتي:

«خدامنا الارضيين قبيلة دكالة وعمالهم واعيانهم وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته وبعد فقد علمتم اننا بحمد الله منذ طوقنا الله تعلى امر المسلمين وقلدنا رغبة التكليف بحياطة الرعية والدين ونحن مجتهدون فى حفظ قواعد نظام الاسلام، وقائمون بواجب النصيحة والمدافعة والاهتمام، وباذلون فى مصالح المسلمين نفائس الاعمار، ومستعدون لذب اهل الفساد عنهم بكل ما امكن من عدة التقوية والانتصار، وما زلنا على ذلك نكافح عن جانبهم صروف الحوادث، ونحصن ساحة الرعية من خوض كل خائض ونكث كل ناكث، قياما بما اوجبه الله علينا كتابا وسنة وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم ايما عبد استرعاه الله رعية لم يحطها بما يحوط به نفسه الا لم يجد رائحة الجنة، ولا يخفى عنكم ولا عن غيركم ما قاسيناه فى تمهيد القبائل وتسكين فتنتها والسعي فى اصلاحها وانقاذها

الحركة السلفية
والصفات العامة لوجهتها الحاضرة

بحث وضعه بالرنسية المستعرب هنري لاهوست

8 -- السلفية واوربا - (تابع)

وأما «الدعوة» الاسلامية، فمنها يتكون السلاح القوي المتين، والدعوة شرطه فى حياة الاديان والنحل التي لا ترسخ ولا تنمو الا بتنظيم دعايتها «الاشهارية»، كما أنها فرض كفاية على كل مسلم، فهو ملزم بنشر الدعوة للاسلام بسيرته الشخصية وكذلك بجودة إدراكه لروح الايمان ثم بالقلم واللسان. وقدما ألهمت حاجتها السيد رشيد رضا إنشاء مدراس كبير لتخريج الدعاة والمرشدين. ولا شك أن هذا العمل لم يكن صادرا عن عداوة للمسيحية، وإنما كان ناشئاً عن تقليد عاقل للانظمة المسيحية التي عنى «المنار» دائماً بدرسها عن انجذاب واستطراف لكن الفكرة قد اخفقت في تفصيل تطبيقاتها. غير أنها ما تزال في نفسها ذات حيوية قوية عظيمة. ولسنا نريد دليلا على هذا سوى إنشاء قسم التخصص فى الازهر للوعظ والخطابة. وكذلك نشر كتيبين عن حاجة الاسلام الى تنظيم دعوته(1)، وتستطيع هذه الدعوة أن تتخذ وسائل فعالة للعمل من الصحافة، والجمعيات وموسم الحج والاكثار من المناشير وبالاخص من «الخطبة» التي ظلت تحوطها عنايات متمسكة، ولا يستطاع إكمال إصلاحها، ويدافع عنها بشدة ضد التحفظات والانتقادات التي رشقتها بها جريدة «السياسة» فى العهد الاخير

ودعوة كهذه لا يمكن تصورها على غير أساس روح من الائتلاف

---

(1) الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير للاستاذ السيد محمد السعيد الزاهري، والدعوة الى الاصلاح للعلامة الجليل السيد محمد الخضر حسين.

الاسلامي الواسع الذي صار أحد الاركان الاساسية لبرنامج «الفتح ومجلة الشبان المسلمين»، وقد سار «المنار» في عمله التوحيدي حتى أقصى مراميه وابعد عواقبه فأدرك — منذ سنة 1897 — ما يوجد من الاهمية الرئيسية في التقارب مع «الشيعة» الاسلامية، ثم اخذ على نفسه ان يمهد له الطرق ويفسح له المجال في سورية بالتعاون مع العناصر الموجودة في مدينة صيدا حيث يدير عارف الزين تلك المجلة الرائعة التي هي «العرفان»، وفي العراق بمؤازرة كاظم الخرساني وهبة الدين الشهرستاني، وفي الهند منذ سنة 1910، وفي القاهرة نفسها في العهد الاخير. ومثل هذه الارادة الراغبة في الاتفاق كانت لها صلة ماتة بهذا الاقتناع الشديد وهو أن الاسلام الاول كان يجهل التمييز المذهبي الذي حدث فيما بعد تحت تأثير المؤامرة المدبرة بين ابن سبأ وأول من أسلموا من اليهود وذلك من أجل نشر الفساد وبث الشقاق بين المؤمنين. وقد كانت تلك الارادة تسوغ الاتصال في مجال العمل مستندة على ضرورة التعجيل بوحدة الجبهة دفعا لعدوان مختلف الاخطار الخارجية

فكان المنهج المختار هو احتفاظ كل حزب بمذهبه الخاص في نطاق التسامح المتبادل ومع الاعتراف بوشائج القرابة الموجودة بين الفريقين وهي: أركان الاسلام الخمس، وحدة المذهب الاخلاقي، الاحترام السني لعلي وعشيرته. وقد كان من شأن تشاكل الاماني القومية والمرامي الجنسية في البلاد العربية أن يساعد على التفاوض في الخطط العامة من أجل عمل سياسي اجتماعي. ولا سبيل الى إنكار تحقيق الاتفاق وظهوره منذ الحرب بسبب تجربة الارتكاسات والوثبات المشتركة، ويظهر أن «المنار» يحظى بالتقدير والاستجادة في الاوساط الشيعية المعتدلة. ولم تحجم مجلة «العرفان»

فى صيدا، عن ضم احتجاجاتها الى احتجاجات الاسلام السني فى بعض المساجلات الحديثة التي يقال انها موجهة ضد أوربا، وان الحركات الاسلامية العظمى التي تقوم على التلاوي (ralliement)[1] والتآلف لم تستطع فى ـ الغالب ـ الارتسام فى غير شكل الوثوب المشترك ضد الاعتداء الخارجي، وبمثل هذا أصبح، أحيانا، فى مقدور العرب أن يتناسوا موجدتهم على الاتراك، وتوفرت ممكنات النجاح لمحاولة التقارب بين المظهرين العظيمن فى الاسلام. ورغما عن هذا لا تزال بعض المسائل الخلافية قائمة منيعة، كما ظلت الاحزاب المتطرفة ثابتة فى وضعياتها.

وان ما اقترحه أخيراً عبد الحسين شرف الدين من إخضاع كل اتفاق لمناقشة منصفة مهذبة بين المشايخ والفقهاء، ومن التصالح فى شأن المسائل الخلافية الركنية ـ وهي مسألة الخلافة ومسألة المقايسة بين فضائل علي وغيره من الصحابة ـ ليس من شأنه ان يمهد السبيل للترخص المتبادل، بل انه يعرض كثيرا لخطر هو انماء وجهتي نظر، كلتاهما مقتنعة بتفوقها الذاتي. وقد أثار نقد محسن الامين العاملي لابن تيمية والوهابية وكذلك موقفه ازاء الحركة الفيصلية ردوداً قوية الحدة من لدن «المنار». كما أن الامدوحة التي نشرتها عن عمر «مجلة الشبان المسلمين» (السنة الاولى عدد 10، ص665) والتي يقوم فيها أحمد الدرديري بتمجيد عمر بصفته أعرف الصحابة وأعلمهم، قد وقع التعرض لها أخيرا فى مجلة «العرفان» بقلم عبد الحسين شرف الدين فبعثت المساجلة من مرقدها، وقد لزمت فيها «مجلة الشبان المسلمين» حياداً كاملاً، لكنها ربما كانت تتهدد بشر الاخطار ـ وذلك بالرغم عن حسن الارادات الحقيقية الراغبة فى الالفة

-1- استعملناه بمعنى الانضواء الى شعار كاللواء مثلا وهو المعنى الذي تؤديه الكلمة الفرنسية - المعرب -

والوئام اتحاداً تحكم عليه مجلة «المشرق»[1] - من حيث وجهتها الخاصة - بانه صعب التحقيق والانجاز. ومهما يكن من الامر، فان تلك المساجلة قد سمحت «للمنار» بان يشهر بصلابة «الغلاة» بصفتها أحد الاسباب الاصلية في كل ضلالة مذهبية، وفي الانقراض السياسي الذي دهم الخلافة، وفيما استمر في عالم الاسلام المعاصر من التصدع النفسي والانشقاق الاجتماعي الذين أعداؤه وخصومه أول المستأثرين بما فيهما من الارباح والفوائد.

ومنذ سنة 1883 خمن وتحدس الافغاني ومحمد عبده بكيفية واضحة ما يوجد من الحيلة والصلاحية في توجيه النداء الى الرأي العام الاوربي. وفي هذا المضمار كذلك سارت الفكرة أشواطا وسلكت صوبا في المنهاج. وتصيح بدورها مجلات «الزهراء والفتح والمنار» بانه قد أصبح من اللازم أكثر من ذي قبل صرف العناية الى ما تجهر به أوربا عن الاسلام وتتحدث به عن العرب. ونلاحظ في هذا المجال أن علم المشرقيات قد أدرك حظوة مما توخذ به أنها تغلو كثيرا في استخدامه امتداحا أو جدالا، وأنها تحرم نفسها من فضل الدراسة النزيهة لأساليبه ان لم يكن لنتائجه. وقد تكرر الاخطار بانشاء مكاتب الاستعلام في مختلف الاقطار الاوربية، تكون مشاكلة في نظامها لما عندنا من مراكز الاستطلاع الاجتماعي. كما أن الخيبة التي لا شك أنها اعقبت كثيرا من العرائض التظلمية الموجهة الى جمعية الامم، قد أشعرت بأنه من رشاد الخطة وجودة التدبر العمل لكسب عطف النفوس بين الاحزاب السياسية التي في الامكان أن يرتقب منها - بسبب ما هو مقرر في بياناتها من الافكار

(1) مجلة عربية قبة يصدرها اليسوعيون في بيروت الشام - المعرب -

الحرة والمبادىء الانسانية ـ الحصول على معونةمقاربة في النفع والجداء. وليس من المستحيل ان يقع التفكير حتى فى استغلال ما هي عليه أوربا حاضرا من التفرقة والشقاق، وذلك عن طريق الاستظهار المبعوث بالخصومات التى كثيرا ما عرضت بديها وساطتها.

ومن المتفق عليه ـ وهو عين الصواب ـ أن النفوذ الفرنسي مزدوج فى بلاد الاسلام. فهو يرجع، فى الواقع، إلى دخول اليسوعيين لارض الشام، وإلى العمل الممتاز القائم على الدعاية فى سبيل اللغة والثقافة الفرنسيتين والممثل فى المدارس التي فتحها اليسوعيون وفى الصحف التي أنشأوها فى تلك البقاع. كما يرجع ذلك النفوذ إلى «الفكرة العقلية» التي ابنى عليها منهج التفكير التفاؤلي التقدمي فى القرن الثامن عشر والتي أدخلتها فى الآداب العربية المعاصرة كل من التراجم، وحملة الفرنسيين فى مصر، واتخاذ فكرتي «الوطن» و«حق الشعوب فى تقرير مصيرها» بالاستقلال بشؤنها، هاتان الفكرتان اللتان قامت الثورة الفرنسية الكبرى ببث بذورهما فى سائر أرجاء أوربا. وعلى عكس هذا يفور النشاط، أحيانا وفى غير ما مناسبة لائقة، فيعمل فى تبشيره المسيحي ودعايته القومية على معارضة الغرض الذي يستهدفه، وذلك بما يؤدي إليه من إثارة هائج الوثبات الاسلامية، وقد تم أخيراً تعريب كتاب «الغارة على العالم الاسلامي» لمؤلفه لو شاتوليي (Le chatelier) وليس من المستحيل ان يخرج الاسلام بضلاعة جديدة من أزمته الحالية التى هي أزمة نمو وترعرع: ومن المستبعد أن يكره التمدح (apologétique) نحلة من النحل على نيل اصولها بتحليل نقدي هدام، بل هو قادر على أن يقودها بكيفية أثبت وأرسخ نحو الافتخار المزهو الصلف (idéalisation exaltée) بالخصال والمكارم التي تنسبها لذاتها.

هذه هي العناصر العامة «في دعوى» نترك مهمة إصدار «الحكم» فيها للذين يملكون من التضلع والاطلاع غير ما عندنا جنسا وشكلا. وبما أننا، فيما يخص وجهة نظرنا، مقتنعون بأنه من المهم في كل شيء أن يتجرد الانسان عن الاعتبارات الشخصية ليقصد صوبا إلى الغور الجوهري في «الترافع» والتراوض، وأن يتناسى في جرأة واقدام الاضاليل وسوء الطوية الظاهرة التي في الامكان ان تساير كل مساجلة صحفية، فانا نكتفي بالوقوف عند بعض الملاحظات المنهجية، فقد حان الوقت لنقلع عن الرشق بالمنزات النازغة والاغتياب بالمقذعات المغرضة التي يمكن لدراسة من النقد التاريخي أن تجلو مباعثها والتي تنزع الى ان لا ترينا في الشرق الاسلامي سوى أعداء ألداء جديرين بسوء ظننا إن لم يكن بعداوتنا، ويبقى ان نسائل أنفسنا هل ان الاحتجاجات التي ينبعث ويرتفع شررها احيانا لا تخرج، في حقيقة الامر، عن كونها احتجاجات مسلمين مخلصين صادقين يخبرون بالمشاهدة أن مكرهتنا (désobligeance) كثيرا ما تترفع باغتباط عن نزاهة الاطلاع المهذب، الخالص من الشوائب والاغراض.

أليسوا، في تمسكهم الشديد بما لثقافتهم من الشكل التقايدي اول المتبرمين بمناقصها، والممتنعين كلية من الانخلاع والتنازل عن ماضيهم الخاص، والمطالبين - كضمان لمصافاة لم يرفضوها قط - بصرف النظر والهمة، وذلك بعطف نشيط واخلاص حقيقي، الى سلوك منهج سياسة تطورية إصلاحية في اتجاه المنطق الذي يقتضيه الدين، والقانون واللغة؟

لهذا يلزمنا - كما وقع التصريح به، منذ بضعة سنين، في مقال تأبيني لمستشرق شهير - أن نعمل اكثر من ذي قبل في سبيل إقامة صرح الاتصال

الحق، واستحقاق عطف واثق من الجميع، واكتساب، فوق كل شيء، هذا «الاطلاع البشري» الذي هو أثمن الاشياء والذي يشعر شعورا ممضا قاسيا بفقدانه عند كثير من اساتذة وسادة العصر

- الخلاصة -

وفي الواقع، فان الاطلاع الذي يقوم جوهره على ما في الكتب لا يمكن أن يسمح لنا بالحكم نهائيا على ما أدركته الحركة السلفية في مجال التوسع والانتشار وعلى ما تملكه من ممكنات التوفيق والفلاح، فان احكامنا عن الاسلام لا تستطيع ان تنال شيئا من اليقين والقيمة الا على شريطة استحقاقنا «للضيافة الروحية» في الجماعة الاسلامية. ورغما عن هذا كله، فان وراء الحركة الاصلاحية السنية في اتجاهها الحاضر قوة من أضخم القوى الاسلامية: وهي الاستمساك التعبدى بالسنة، ثم الاقتداء العامل النشيط بمثالة «السلف الصالح». وكلاهما يحتفظ بقوة سائر الاوقات ويتجلى، في عصر الازمة، في شكل موجة حنبلية الجوهر والمادة. والعودة الى «الماضى الذهبي والقومي» شبيهة بكل الحركات المجانسة لها، فهي تشهد بغريزة حيوية هائجة وتنفجر في الوقت الذي يتحقق فيه اخصاب التربة الوطنية بالانصبة (1) الاجنبية، كما أن تلك العودة يستبعد أن تكون تقلصا في العلم والاطلاع، فانها بسيرها الجديد القائم على إدماج أحدث النظريات وأنسبها للعصر الحاضر تستمد من جدة عصرية Modernisme (2) جيدة. وهذا الاعجاب المسرف بالفنون والعلوم، الذي عرف عندنا في كثير من العصور، يشعر بان أشد المسلمين غيرة على ما لهم من التقاليد قد ادركوا ادراكا قويا صائبا ان جسم كل

---

(1) ج نصيب الحظ والقسط.

(2) تنبيه: لم اترجمها بالتجديد الذي يقابله بالفرنسية لفظ Modernisation — المعرب

مذهب من المذاهب لا يقدر على الحياة الا بالاستدراكات المتتابعة التي تتخذ في أغلب الاوقات صفات الامدوحة وتعوصه من جديد في الفكرة الحية العصرية. وحقا أنه يمكن للبرنامج أن يفقد، في التطبيق، التوازن المتسق الذي أشرف على نشوءه النظري، لكن الصبغة العربية التي تصطبغ بها الحركة هي، فوق كل شيء، قوتها وضعفها في آن واحد. فتركيا لم تظهر كثيرا من الحماس في التطلع الى الاصلاح الديني، والقاهرة التي هي مستعربة اكثر منها عربية، خصوصا منذ اعتزمت تجهيز إداراتها بالمصريين الخلص لا غير، ليست لها قابلية الارتشاف Perméabilite التي للعراق وفلسطين وسورية. وعلى عكس هذا فانا نجد بكيفية اسهل وايسر ان للسلفية تسربات بينة في الشمال الافريقي(1) أي في قسنطينة وتلمسان. أما المغرب الاقصى فانه أضاف، في العهد الاخير -- وذلك عن مسايرة Parallélisme ربما كانت اكثر من مصادفة صرفة -- روح وحتى تفصيل الاماني الاصلاحية السنية الى قائمة مطالبه التي رفعها للدولة (المخزن) واذا تذكرنا أن التشابه في التطور عظيم بين الاسلام والمسيحية فانا ندرك بسهولة أن الخطر الذي يحق للاصلاح السلفي ان يتخوف منه تخوفا كبيرا جديا لا يستطيع أن ينشأ من السواد الشعبي الذي هو مصاب بالجهل والفوضى في بلاد الاسلام اكثر من غيرها وقادر، على عكس ما يظن - وذلك باستمساكه بالدين في أشكاله الظاهرة - على ان يمكن من مجال صالح للدعاية.

(1) من الممكن أن يربط بالافكار السلفية، في معناها الواسع وبعد تجريدها من جهازها الجدلي الجديد، هذا التصريح الذي وقع في الاجتماع العام (دجنبر 1930) لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا، وهو: يجب علينا الاقتناع بأن دراسة الفرنسية ليس من الممكن أن تكون لتاسوى وسيلة، لاغاية، فاذا كنا نتعلمها فلأجل أن نبلغ الى التعريف في وسطنا بالعلوم والمناهج الدراسية التي عند اوربا، وليس القصد من ذلك انكار شخصيتنا ولا تقاقنا للانجاه نحو الاندماج في هيكل أجنبي»
المؤلف

يقال أحيانا إن ساعة المذهب المدني اللاديني قد حانت وتقرت بمطرقها أبواب اروبا، وهو قول لو كان صحيحا صادقا لما كان من المستحيل أن يقع التعجيل، في ارض الاسلام، بنشر الافكار المدنية عملا بمنطق تطور مساير وانفعالا بالنفوذ المباشر. ومما كان يساعد على ظهوره وذيوعه، خلو بلاد الاسلام، من كهنوت ثابت النظام، والاتجاه الراهن الذي أخذته الصحافة، وجنس التعليم، وتهيؤ الموظفين الذين يضاهون أسلافهم من الكتاب ذوي الثقافة الدنيوية، ويستعدون، بسبب الصفة الاجتماعية التي للاوساط المخرجة لهم، لامداد الطبقات المدبرة بما هي في حاجة اليه من العناصر. ولم يغب الخطر عن السلفيين الذين يعملون اليوم للف جهودهم حول إصلاح المناهج التربيوية. وعليه فقد ظل هذا الاصلاح المشكلة المعضلة في نظر كل من يهتم في آن واحد بفن التنظيم العلمي وبالاجتماع السياسي الخاص بالعالم الاسلامي المعاصر. وكيفما كانت الوجهة المقبلة، فانا نتمنى مشاهدة الاحتفاظ بهذه العقيدة الراسخة في المثل الاعلى، وهذا الادب الاسلامي الجوهر، وهذا النشاط القوي، وكلها تجعل من السلفيين في القاهرة. وذلك في هذا العصر الذي ابتليت فيه الضمائر بالمتاجرة الخسيسة Mercantilisme - زمرة قيمة من غير حد ولا حصر إن كان الانسان ما يزال عارفا بتثمين استقلال الفكر وجرأة العمل أينما هما موجودان وكيفما كان المثل الاعلى الذي به يطالبان وإليه ينتسبان. انتهى البحث

تعريب (ابن الحسن) محمد بن الحسن الوزاني

تنبيه : وقع خطأ مطبعي فيهذا البحثبالعدد السابق (ص 35، س 11) ينبغي إصلاحه هكذا : اللغة الفصيحة المجددة...

خدمة المثل الاعلى

كون لنفسك في الحياة مثالا	تبلغ بروحك رفعة وكمالا
واجعله غايتك التي تسعى لها	تسعد به حالا وتنعم بالا
واستسهل العقبات في ادراكه	فوراءها نور الهدى يتلالا
وانظر الى الدنيا كمعبر راحل	يسري ليحمد في الصباح الحالا
ما في الحياة لذاذة الالمن	طلب المثال وواصل الارقالا
ان الحياة عقيدة تدعو لها	ومبادىء تكسو النفوس جلالا
من لم يذق لذ المبادىء لم يجد	في العيش سرا يفتح الاقفالا
ولقد بلوت الدهر في اشكاله	ولبست من الوانه سربالا
وشربت منه الاسودين على ظما	ولقيت من احداثه اهوالا
وبليت في فجر الشباب بكل ما	لو مس غيرى لم يكن حمالا
لكنني الفيت خير سعادة	في عالم المثل الاعز منالا
فنعمت في جناته متمتعا	بالعيش غضا والحياة جمالا
احيا حياة لو يذوق نعيمها	قوم لضحوا جاههم والمالا
احيا بدنيا ليس يدرك كنهها	قوم قد امتلاوا عمى وضلالا
جعلوا اكتناز المال غاية سعيهم	فاستعبدوا الصناع والعمالا
وقضوا على حق الضعيف وقرروا	ان يمنعوا المحروم والسئالا
ظنوا السعادة في المتاع وانما	كان المتاع لهم اذى ونكالا
ما المال غير وسيلة فاذا غدا	للنفس غايتها فلن تتعالى
تغدو به في عالم متضايق	مثل العرائس قد دخلن حجالا
انى ارى حظ الغنى بما له	تعبا يدوم ومحنة تتوالى

ابو العباس المقري ايضا (2)

1041 هـ — 1631 م

5) يذكر الباحث انه بعد أن ورد فاس سنة 1009 تركها وارتحل لمراكش سنة عشر فاقام بها سنتين ثم رجع إلى فاس لخ وهو تابع في ذلك للبفرني في الصفوة، والذي ذكره هو نفسه في النفح ونقله في سلافة العصر ص 590 والخلاصة ج 1 ص 303: أنه رجع الى تلمسان آخر عام عشرة والف ثم عاود الرجوع إلى فاس سنة ثلاث عشرة وألف إلى أن ارتحل للمشرق سنة سبع وعشرين وألف.

6) عقد الناقد فصلا ما كان اجدره بحذفه يتشكك فيه في ثقة المقري، وانا مع حسن ظننا بالكاتب وتنزيهنا له عن أي قصد سيء سوى خدمة الحقيقة نرى انه قد حاد عن القصد واثار بحثا ليس له ما يبرره سوى رواية ضعيفة لم يرتضها مؤرخوه سواء من انكرها صراحة كالشيخ المسناوي والقادري في نشر المثاني والتقاط الدرر أو من اعرض عنها ووصفه بما يليق به من الضبط والامانة والاتقان في كل ما يتصدى له من البحوث الشائقة، وقد اجمع على وصفه بذلك جميع من ترجم له سوى تلك القولة الشاذة التي ينكرها العقل والنقل، وعلى فرض ثبوتها فانما هي رأي لمن نقلت عنه ليس له ما يؤيده من الواقع، وفوق ذلك

كم من فتى غرته زينة عيشة — فبنى اماني حولها وخيالا

وغدا يؤمل حالة مرضيـــة — فجنى من الامل العظيم الآلا

ان الغنى بقلبه وضميـره — ذاك الغنى وان يصب اقلالا

عالجت نفسي بالمثال فاصبحت — آلامها مهما عرت آمالا

من يكتسب جاها ومالا في الورى — فانا كفاني: قد كسبت مثالا

ابو المحاسن

نرى الناقد اسرف فى التساهل فى النقل فخالف ما ذكره من نقل هذه القولة كصاحب النشر الذي يشير إليه الناقد 1 ص 165 والتقاط الدرر فى العام الرابع من العشرة الخامسة بعد الالف فقد جاء فيهما: ان حفاظ المغرب ثلاثة: حافظ ضابط ثقة وهو ابو العباس الفاسي وحافظ ضابط غير ثقة وهو ابو العباس المقري ـ خلافا لما ذكره الناقد ـ وحافظ ليس بضابط ولا ثقة وهو مولاي عبد الله بن علي بن طاهر ـ خلافا لما ذكره الناقد أيضا. وبعد فان هذه القولة تظهر عليها مسحة الوضع والاختلاق ولعل الكاتب الفاضل يوافقنا على ذلك اذ قال إن نفسه تطمئن الى اقوال المقري وابحاثه.

7) يتساءل الكاتب عن موقف المقري في حادثة العرائش لكي يعرف مبلغه من الصراحة الدينية ويقول انه لم يقف على من يفيده فى الموضوع ونجيبه بان المقري لم يكن راضيا عما فعله السلطان محمد الشيخ وآثر الفرار والهرب فى جملة الساخطين على اعماله، جاء في نزهة الحادي اثناء كلامه على حادثة العرائش: «وقد هرب جماعة من تلك الفتوى كالامام ابى عبد الله محمد الجنان صاحب الطرر الشهيرة على المختصر وكالامام ابى العباس احمد المقري مؤلف نفح الطيب فاختفيا مدة مديدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما، وبسبب هذه الفتوى ايضا هرب جماعة من علماء فاس للبوادي...» وذكرها ايضا الناصري فى الاستقصاء ج 3 ص 106

8) ينقل عن بعض رفقاء المقري في الدرس ان ولادته كانت سنة 986. وليسمح لنا الكاتب الفاضل ان نقف طويلا من هذا التاريخ وقفة المتردد ونبدي كثيرا من الشك في صحته فان ابا العباس المقري قدم

للمغرب سنة 1009 «بعد ما نضج فكره وظهر علمه واستبان أدبه» كما يقول الكاتب وبعد ما «قرأ على عمه صحيح البخاري سبع مرات وروى عنه الكتب الستة بسنده» كما يقول في خلاصة الاثر ج 1 ص 303 ومن الضروري ان نفرض لهذه الدراسة الحديثية مثيلها من الفنون الاخرى فيكون ورد فاس بعد ما درس هذه الدراسات الواسعة وسنه لم يتجاوز بعد الثالثة والعشرين من عمره وهنا نقطة الاستفهام والتساؤل عن مبلغ هذا التاريخ من الحقيقة، وأغلب الظن ان تكون ولادته قبل سنة 86. ولعل المستقبل يكشف عما غمض من حياة اديبنا الكبير.

9) يقول الكاتب: «ويهم الباحث هنا ان يعلم ان المقري هذا لم يخلف عقبا بعده» لم نقف في المصادر التي عنيت بترجمة المقري على ذكر لحياته الخاصة بل قد اهملها المؤرخون اهمالا باتا كحياة كثير من اعلام المغرب، ولو اتيح لنا ان نقف على حياتهم الخاصة لاستفدنا من ذلك اكبر الفائدة وامتعها ولعرفنا بالتحديد مدى تطورات المغرب في تاريخه الاجتماعي، بيد اننا اتماما للفائدة نذكر ان ثقة من الشيوخ اخبرني انه وقف على رسالة بخط المقري وجهها ايام اقامته بمصر لبعض اصدقائه من العلماء بفاس يوصيه فيها بابنته كما اخبر بان الكردودي في فهرسته يصل نسب العلامة المقري المدعو «الزمخشري» بالمقري صاحب النفح ويذكر انه من ذريته.

10) عدد الكاتب نبذة من آثاره العلمية وبقى عليه الكثير منها من مطبوع ومخطوط وهذه الآثار القيمة وان لم نقف على اكثرها الا في دواوين التاريخ فانا نرجو ان يسمح الزمان بالكشف عنها في جملة كنوز المغرب المخبئات فمن المطبوع منها:

1 ـ حسن الثنا فى العفو عمن جنى طبع حجر مصر

2 ـ مزدوجة مطبوعة فى ضمن مجموعة المزدوجات. ومن غير المطبوع:

3 ـ قطف المهتصر من افنان المختصر

4 ـ الجمان من مختصر اخبار الزمان

5 ـ الشفا فى بديع الاكتفا

6 ـ النفحات العنبرية فى نعل خير البرية ذكر فى السلافة انه اختصر به فتح المتعال وذكرهما معا فى اليواقيت الثمينة

7 ـ عرف النشق فى اخبار دمشق

8 ـ الدر الثمين فى اسماء الهادي الامين اشار اليه الكاتب مع ما قبله ولم يسمهما

9 ـ الغث والسمين والرث والثمين

10 ـ حاشية على مختصر الشيخ خليل

11 ـ البدأة والنشأة، وصفوه بانه مجموعة أدب ونظم

12 ـ رسالة فى الوفق المخمس الخالي الوسط

13 ـ افادة المغرم المغري فى تكميل شرح الصغرى

14 ـ حاشية على شرح ام البراهين

15 ـ شرح القصيدة الشعرية التي اشرنا اليها: سبحان من قسم الحظوظ الخ

هذه مجموعة ما بلغنا من كتبه المتعة اثبتناها هنا عسى ان يقوم ابناء المغرب بالبحث عنها ورجاؤنا ممن اطلع على شيء منها ان يرشد الى مظانها على صفحات «المغرب الجديد» كي تعم الفائدة

وسنقوم بموازنة بين نسخ النفح المخطوطة والمطبوعة متى تحصلنا من جديد على النسخة التي كانت بأيدينا

عبد الهادى الشرايبي

نموذج من الدبلوماسية الحسنية

لقد كان السلطان المرحوم مولاي الحسن شعبي الروح قومي الاتجاه، فكان كلما حدث امر خطير يمس مصلحة البلاد ومصيرها صدع به الى افراد الشعب ولاسيما خواصهم العارفين، واعتبر رأيهم هو الرأي الفاصل وبنى عليه سياسته الداخلية والخارجية، ومن شواهد هذه النظرية رسالته التي سجلها مؤرخ المغرب ابن خالد الناصري فى كتابه الاستقصاء كرسالة خطيرة قرئت على خاصة الناس وعامتهم، وهي تتعلق بمسالة «تسريح الاشياء الممنوعة الوسق وتنقيص الاعشار على ما يدخل الى المغرب من السلع وما يخرج منه»، وفى هذه الرسالة يقول جلالته مخاطبا لرعاياه: «فان ظهر لكم ما هو أسد واحوط فى الدفاع عن المسلمين فاعلمونا به، اذ ما انا الا واحد منكم، واعلمناكم بما كان، امتثالا لقوله تعلى وشاورهم فى الامر» وتاريخها 7 رجب 1303

ووقفنا اخيرا على رسالة حسنية اخرى سابقة على الرسالة التي اوردها ابن خالد، وتاريخها 28 صفر 1301، وهي تتعلق بموضوع «امتياز ضرب العملة المغربية»، وفيها يسجل السلطان اعتماده على رأي «العارفين من كبراء الدولة وامنائها وتجارها» ويعلن ضرورة التزام هذا الرأي باعتباره رأي الشعب العام الذي لا تصح معارضته، وفيما يلي نص هذه الرسالة السلطانية، ننشرها هنا تنويرا لشبابنا عن اتجاه حكومتهم فى مفتتح القرن الرابع عشر الهجري:

خديمنا الارضى الامين الحاج محمد الزبدي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته وبعد فقد طالعنا ما كتبته فى شأن مذاكرة باشدور الفرنصيص معك فى امر زيادة اربعة ملايين لاصحاب كنطردة السكة يضربونها من عندهم مع ما بقي من المشاهرات. وعلمنا ما بينه

لك من المصالح التي ظهرت له فى ذلك واستدللنا بذلك على مزيد محبته ونصيحته وسعيه فى الخير، الا ان ذلك كان بلغنا قبل ولما عرض على المهرة العارفين بذلك من كبراء الدولة وأمنائها وتجارها ذكروا فيه أمورا منهـا حصول المساواة لجميع التجار فى ذلك وخروج امر السكة بها عن حكم المخزن ونظره، وصيرورتها متجرا مباحا، وذلك فيه مفسدة كبيرة وخرق يعسر سده، ومنهـا انقطاع دخول السكك الرومية لهـذه الايالة بسبب ذلك، وينشأ عن انقطاعها عدم بيع التجـار السلع البحرية للرعية بالسكة البلدية ويحصل بذلك التضييق للرعية لكون جميع امورها منوطـة بتلك السلع حتى آلـة الخياطة. ومنها ضعف مدخـول المراسي بعدم دخول السلع البحرية التي لا يبيعها اربابها الا بالسكة الروميـة لكون السكك الرومية عليها العمل فى هذه الايالة سيما سكة الفرنصيص، فاذا انقطعت بكثرة البلدية تتعطل المتاجر هنا ويكثر الكلام مـن التجار فى ذلك. والقدر من السكة البلدية الذي لا ينشأ بروجانه هنا الضرر المذكور هو ما ضرب منهـا، واذا ضـرب شيء آخر زائـدا عليه ينشأ عنه ذلك ومنها ان اصحاب الكنطردة اذا ضربوا الاربعة ملايين والتسع مشاهرات وثلث لا يجدون بهذه الايالة ما يصرفونها فيه من الموسوقات المباحة الوسق، وما يسقونه منها يحصل الضرر للرعية بقلته هنـا وارتفاع سعره سيما الصوف والجلد اللذين عليهما مدار معاشها ولباسـها وفراشها واحرى القوت فضرر وسقه اكثر من ذلك، الى غير هذا مما بينه المذكورون من انواع الضرر التي يطول شرحها. وعليه فنامرك ان تطالع الباشدور بذلك وتشرحه له فانه رجل عاقل ذكي منصف لا يوافق على ما فيه ضرر لهذه الايالة ويسعى فى الخير لها ويحرص عليه. وحيث جمعنى بين الجانبين امر كنطردة السكة المعقودة على وجه جميل موافق المحبة لا يبعد ما يكون سببا لمزيد الاتصال بيننا وبين دولته المحبة بحول الله اما فى السكة واما فى شيء آخر والسلام. فى 28 صفر الخير عام 1301.

تعريفة اعلانات المغرب الجديد

Tarifa de anuncios

ثمن الاعلانات بحساب البسيطة

POR PESETAS

	شهر واحد Un mes	ثلاثة اشهر 3 meses	خمسة اشهر 5 meses	سنة كاملة Un año	
Una plana	**50 pts.** بسيطة	**100** بسيطة	**150** بسيطة	**250** بسيطة	صفحة كاملة
Media id.	**30**	**60**	**90**	**150**	نصف صفحة
Un cuarto	**15**	**30**	**45**	**75**	ربع صفحة
Un octavo	**10**	**20**	**30**	**50**	ثمن صفحة

ثمن الاعلانات بحساب الفرنك

PRECIO POR FRANCOS

Una plana	100	200	300	500	صفحة كاملة
Media Id.	60	120	180	300	نصف صفحة
Un cuarto	30	60	90	150	ربع صفحة
Un octavo	20	40	60	100	ثمن صفحة

AÑO I NUM. 8

EL MAGHREB EL YADID

«Nuevo Marruecos»

REVISTA MENSUAL DE CULTURA

Director- Mohamed Laarbi Benyel-lun

Precios de suscripción:

Extranjero: Un año 30 francos

Correspondencia: Apartado 145

TETUAN imp. EL-MAHDIA ENERO, 1936